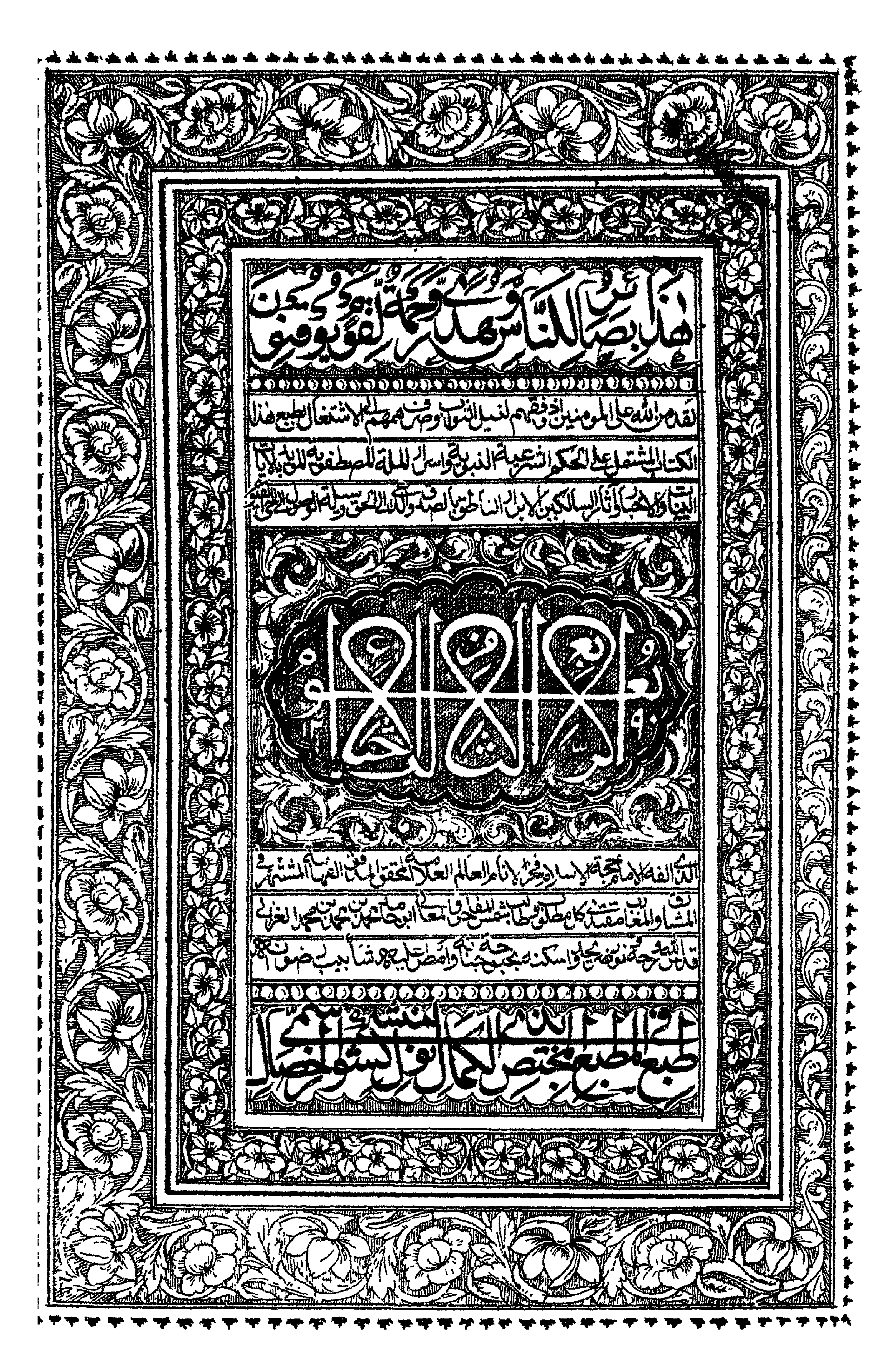
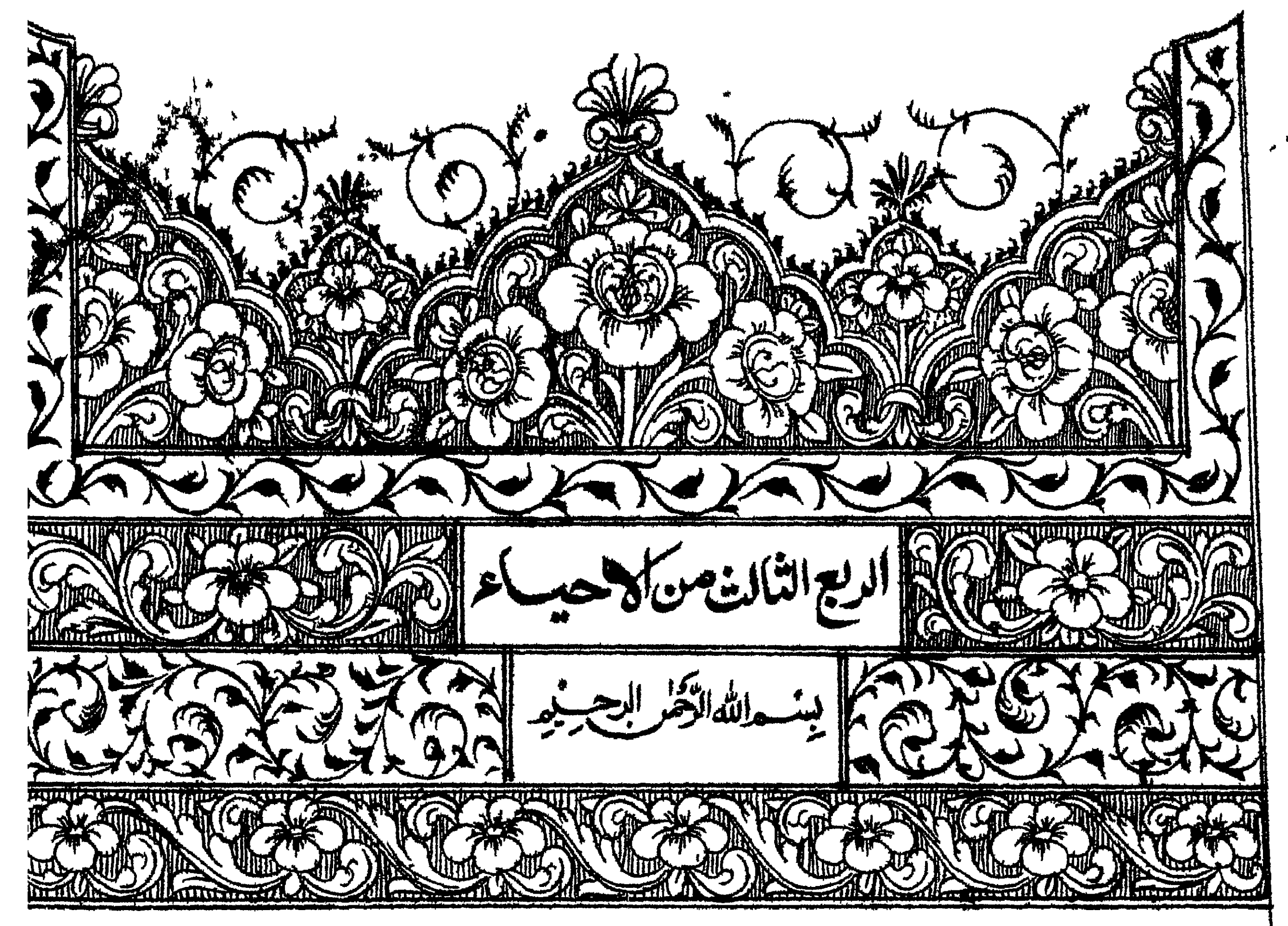
تمت



هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
لقد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف هممهم الى الاشتغال بطبع هذا
الكتاب المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالآيات
البينات والاخبار وآثار السالكين الابرار الناطقين بالصدق والدالين على الحق وسيلة الوصول الى الحي القيوم
احياء علوم الدين
الذي الفه الامام حجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق الفهامة وحيد الفقهاء المشتهر في
المشارق والمغارب مقتدى كل مطلوب وطالب شمس المعارف وحجة المعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه
طبع بمطبع مختص الكمال نول كشور



الربع الثالث من الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر، مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب، والصلوة والسلام على سيد المرسلين، وجامع شمل الدين، وقاطع دابر الملحدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم كثيرا **اما بعد** فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشأها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول**

لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين + احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا
القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه
البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين + والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو
المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه
علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك
مما نتوقاه لمعنيين + احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة + والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء
سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه
اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني**
الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين + احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء
البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي
الى جزء من البيت الا ويستنير به والحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في البدن مثال حركة السراج في جوانب البيت
بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء
الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا + المعنى الثاني
هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني
تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان + احدهما
انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل
الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت
تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس
الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف او امراة العزيز
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى
الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات **اللفظ الرابع** العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها
في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان + احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني
انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه
والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي
الخبر انه قال تعالى له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني
والنفس الشهوانية والعلوم فهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان و
هي الالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ
وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل
كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة
الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له

وكذلك ما تعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب كأنه محلها وعملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هي بالاصابع وقوة البصر انما هي بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايدبه من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فكذلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب

جند العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحه وقواه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما ان الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى

المثال الثاني اعلم ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تاو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسال الله حسن التوفيق بلطفه

بيان خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الشخص الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك ذلك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في حين المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات

بجواز الكتابة الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد + الثانية ان يتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن له مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها و بشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادات والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على اوليائه وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان لربكم في ايام دهركم لنفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فبه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقهما في امور هي خاصية وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينشأ فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما اخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كالثور واما شرها كالخنزير واما ضريا كالكلب والسنور او حقودا كالجمل او متكبرا كالنمر او ذا روغان كالثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه والاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها كصاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع

الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها الكل في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها الى الله تعالى ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه اربع شوائب فلذلك اجتمع عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او رأى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادته لهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد و

والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع
والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب
من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة و
استحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من
ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة
والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها
تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله
حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب
ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال عز وجل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى
فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين
ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى
ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب
بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها
حتى تعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات
مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي
يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب
اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء
الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى
باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة** + اعلم ان
محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة
الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة
القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء
وحصول نقش الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم
عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد
يسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول
الحقيقة الى القلب كما ان السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول
السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله
بالمرآة اولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور
لخمسة امور + احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل + والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل + والثالث
لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة + والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة + والخامس للجهل بالجهة التي فيها

قوله مصقلة

الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلى فيها حقيقة الحق فى الامور كلها
وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة + اولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا ينجلى له المعلومات لنقصانه + والثانى لكدورة
المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اى حصل فى قلبه كدورة لا يزول اثرها اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء
بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدم السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة و
لم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق
فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال
صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم + الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا
فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات
البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه
من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل
الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى
الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى
على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا
حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت
فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق + الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك
يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم
لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى
ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك
كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع
من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى
بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى
ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويراعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه
المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرائق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما
ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور
والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار
مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى
تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله
عنهما قال قيل لرسول الله يا رسول الله اين الله فى الارض او فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى
قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وفى الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه
ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بينه وبين الله تعالى تجلى صورة الملك والملكوت
فى قلبه فيرى جنة عرضها بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع

بشغله ١٢
اصل نظم الكلام ١٢

متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي
يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة
الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق
الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب
وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب **المرتبة الاولى** ايمان العوام وهو ايمان التقليد
المحض **والثانية** ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام **والثالثة** ايمان العارفين وهو المشاهد بنور
اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات **الاولى** ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه
بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا
سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه و
ثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل
رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون
اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق * **المرتبة الثانية** ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل
به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت
صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت
ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك
قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا * **المرتبة الثالثة** ان تدخل الدار فتنظر اليه
بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم
ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما درجات الكشف فمثاله
ان يبصر زيدا في الدار عن قرب في صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت
عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت
المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك
تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى اعلم بالصواب * **بيان** حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية و
الدينية والدنيوية والاخروية * اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية
تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية واخروية * اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى
ضرورية لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما
معا فهذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل له اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه
ان الله هو الذي خلقه وهداه * والى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه **شعر** رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع * والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي
ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ
لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي
بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير
وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر في العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل
في مدة الصبا الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم على

صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من
خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه
وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه
لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس
من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك
الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام
حتى يعرض في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي، اما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته
عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة اسباب البدن بل يحتاج الى
معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن
السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد
الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك امراض القلب
لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض
بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير
ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض
في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل
دار قوم فتعثر فيها باواني الدار فقال لهم ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاواني في مواضعها وانما انت
لست تهتدي للطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية
والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات
الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن
الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احدهما
اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة
جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة
البله اي البله في امور الدنيا وقال الحسن في بعض مواعظه لقد ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا
غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب
فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار
في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية
التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب
في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي
يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد
من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في
القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول تختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال

يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف ايضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتامل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال عليه افضل الصلوة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بي الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس

ل قشع الريح السحاب كشفته فانقشع ق

ل محاه يمحوه ويمحاه اذهب اثره فمحي هو لازم ومتعد

ع سنح لي راي ... [illegible]

ع ... [illegible]

مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين احدهما انه لو فرضنا حوضا محفورا في الارض
احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض
ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن ان تساق العلوم
الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره و
رفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح
بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما ان المهندس يصور
ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ
ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء
والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء
والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل
في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق
للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع
وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها
اشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض
على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم
كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت
قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس
وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها
فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك
كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع
في الانهار منع ذلك من التفجر في الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى
عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك ايضا
يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت
ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير
اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله
قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم اقبل بوجهي عليهم اترى من
واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم قال تعالى اول ما اعطيهم ان اقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار
هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلم الحكمة ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في
علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في
اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكي ان اهل الصين واهل
الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل
الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير
صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش
من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق

وبرق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى
يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل اهل الروم فكيف ما
كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا ياكل محل
الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى واما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا
بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتفاوت درجات
السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى
الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد روي في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم اصغر حتى يكون آخرهم رجلا
يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة وينطفئ اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف
العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد في ميدانه والذي اعطي نورا على
ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت
الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا ايضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج
كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس و
كما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه
ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من الف قلب من العوام
وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم
المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم
فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب
وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد
يتضح لك تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن
والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق
الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد + اعلم ان من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير
بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة
فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر
من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما
يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات
والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه السلام
اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي و
عظامي وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة
ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي

رضي الله عنه ما عند نا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن من ينظر
بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع ومثل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى
يقذفه الله تعالى في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له
في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله
تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد و
غيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا حفظ ولا درس
وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوساطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا
بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر
واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لعايشة رضي الله عنها عند موته انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر
رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة
الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امراة في طريقي فنظرت اليها شزرا وتاملت
محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت اوحي بعد
النبي فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا
واشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني
ولم اره وقال زكريا ابن داود دخل ابو العباس ابن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في
نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى لطافا خفية وقال احمد النقيب دخلت على الشبلي فقال
مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل انت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء
الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها و
خرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال او ليس قد قلنا
لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله عز وجل
وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناني واعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل
طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير التيناني هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما
عليه فحضرت صلوة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدني سبع فعدت الى ابي الخير
وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشائخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من
مشاهدة الخضر عليه السلام والسوال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن
انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك
في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر
لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره
اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق

له
متعلق کشف صوریہ و باطنی و سعہ علی مسمہ اور اسمہ ۱۲ ق

وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدّق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب هو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي وسألته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها + اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر واعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف

عندهم فما كان من الله تعالى امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالله يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان تبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى ان من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته (وجدت ١٢) فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز ايضا ان يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بابي وجه من لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر اتدع ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس [illegible]

سبب يفتقر الى اسم يعرف به فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد
الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان
انه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت
في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت
ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه
عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان
يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك
ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع
الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكائد
الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر
بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب
بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق
الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في اثنائه يؤكد فيه
شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليه السلام
فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك
العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكائد
الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا
سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له
ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم
كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان
وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بالعلوم التي تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي
من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل
والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى
ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان
ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام
حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب
مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص
للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود
شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال قد [illegible]

ن المتغلغلين

ينضي في نسخة [illegible] وفي بعض النسخ بالقاف من تنقل اي [illegible] وقارب بين الخطا ١٢

بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة
وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب
للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى
بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة
وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط
وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله
عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر
مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان
إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان
فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان
أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي
أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني بريء منك
فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر
كل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب
في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه **بيان** تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه
ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية
القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان
إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى
الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن أبوابه العظيمة** الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند
الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك
الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل
وأراد النزول قال له ربه أد الأمانة فقال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد
لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له
حيا أأسجد له ميتا ثم قال يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن وحيي في قلبك
وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقى الزحف
فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها
فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لآدم ميتا
هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكي أن إبليس
ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ويقال إن الشيطان يقول كيف
يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه . **ومن أبوابه العظيمة** الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا
على كل شيء أعماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص
لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة
حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم

معي وليلا ثم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس اهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا احدثك
باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص و
الحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص ؛ ومن ابوابه العظيمة
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان فقد روي عن ابليس انه ظهر ليحيى بن زكريا عليهما
السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت
فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من الطعام ابدا فقال له ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا
ويقال في كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثاني ان يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع
والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس
ان يهيج فيه الامراض ومن ابوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ
فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه
في ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل
الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب
لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد
والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فقد روى صفيان بن سليمان ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا اخذت
وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني املكك اذا غضبت ؛ ومن ابوابه العظيمة
العجلة وترك التثبت في الامور وقال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان
الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة
والتبصرة تحتاج الى التأمل والتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روي انه لما ولد عيسى
بن مريم عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى اتى خافقي الارض فلم يجد شيئا
ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا
هذا فايسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ؛ ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف
الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة
دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار اخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان
قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري اثاث البيت
وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه ؛ قال ثابت البناني
لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى اعيوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال ابليس انا
آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون خائبين
ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فنصيب منهم حاجتنا وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه عيسى عليه السلام
فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان
عليه فان القائم بالليل للصلاة مثلا مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان
لا يخطر له ذلك بباله ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط
لعبادة الله تعالى ؛ ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز
والعذاب الاليم هو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني

على ثلاث امر و باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك
منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش
الشياطين وقال ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال
اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا
قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء + **ومن ابوابه العظيمة**
التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن
في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه
غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد
منهم يتعصب لابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان
اول عدو له اذ موالي ابي بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه ان يضع حصاة في فمه ليكف
لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاني لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد
علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها
من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحيوة
قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع
كان احب الى ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من انفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع
ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدو الله ابليس وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اولياء
الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع
قبح افعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف
وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه
من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته
فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك
خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان
قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع
حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان
في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم + وقال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت
لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون
فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها + ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات
الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم
فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم
يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم + **ومن ابوابه** حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر
في ذات الله تعالى وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا
او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فاشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا
في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك
يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا

ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيراً له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير
اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما اردنا بما ذكرنا
المثال ۞ **ومن ابوابه** سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان
على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من
المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روي عن علي بن
حسين ان صفية بنت حيي بن اخطب اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً في المسجد قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي
معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيراً فقال ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم من الجسد واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق صلى الله عليه وعلى آله وسلم على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز
من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجاباً منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر
الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر **شعر** وعين الرضى عن كل عيب كليلة ۞ ولكن عين
السخط تبدي المساويا ۞ فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انساناً يسيء الظن
بالناس طالباً للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب
العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره
فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول
الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في
هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب اصول هذه الصفات كان
للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من
الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقين فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز او لحم فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد
الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر
فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر قال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين
كاس وشيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك مهزول قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعاً واذا
شرب سمى الله فاظل عطشاناً واذا لبس سمى الله فاظل عرياناً واذا ادهن سمى الله فاظل شعثاً فقال لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فانا اشاركه في طعامه وشرابه
ولباسه ۞ وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه
منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له ابليس يوماً
في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احداً هذه الاستعاذة ولا اتعرض لك قال والله
لا امنعها ممن ارادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وبيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي
فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقاً يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته
وخر على وجهه ۞ وقال الحسن نبئت ان جبرائيل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتاً من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ
آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي
ولولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحاً في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجاً الا سلك الشيطان فجاً غير الذي سلكه
عمر رضه هذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن

عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء
وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول
الدواء في المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم
تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلوة فراقب
قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك
لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلوة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها
فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك
الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه
اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين
بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط
الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال
عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القران ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت
ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا
لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة
شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى
ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار
فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس
خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب
ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فانه يدخل مع الرجل الى اهله يريهم العيب
عنده ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في
ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل
ينفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك
يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله
ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض قال يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك
قال يا رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا
العبد الذي كرمته علي ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا
قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة
اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم كما
قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل وصنف اجسامهم اجسام بني ادم
ارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال
اني اريد ان انصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم وهم اشد الاصناف علينا نقبل على
احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك
منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الثالث فهم

اى نتعب ١٢

مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهل هي صورته الحقيقية او هو مثال له يتمثل به وان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما فلا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه افضل الصلوة والسلام في صورته الا مرتين وذلك انه صلعم سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس واما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به او تعمل به وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها

حراء بالكسر والمد جبل بمكة كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث فيها قبل البعثة ١٢

قوله خنس اي تأخر ١٢

قوله جاثم ... ١٢

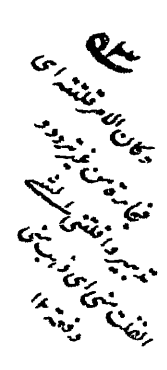
السمسار بالكسر المتوسط بين البائع والمشتري والدلال ... والسفير بين المحبين وسمسار الارض العالم بها ١٢

ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فتتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار بمجرد الارادة من اهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة رضي الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اي مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية فان ظن انها اجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا + اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق + فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت كانه يسكت + وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه + وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها

للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول له النار ايسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتذكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القرأة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به فقد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه احد لكان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تاملت جملة من هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وقال اذهبوا به الى ابي جهم وائتوني بانبجانيته وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك بوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلوته من الوسوسة في الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب كثيرة + قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات + اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب آخر



مايضادّه فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شرّ جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعاً بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملاً واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيراً ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا اوتخاف يا رسول الله قال وما يومنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال عليه السلام مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غلياناً وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقليبها من حيث لا يهتدى اليه ولا يعرفها الا المراقبون والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى ❊ والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة ❊ قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بدّ من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيباً في جوهره طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء العقل معموراً بانوار المعرفة فيراه صالحاً لان يكون له مستقراً ومهبطاً فعند ذلك يمدّه بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غروراً فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معموراً بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فيستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان للتوقف والاستبصار ولو بصّره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينيه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي منه انوار البصيرة فينطفي نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احداً من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك اهل الزمان افتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك

شر لا ممتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ثم يقول له هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تترك لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعاصي وسلط عليه اقران السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل الجنة واهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق. تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة يتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تدبير الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره وتستشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض

صعد تحريضا حضه ١٢ ق

قوله صعد منها

بالتضعيف والتشديد اي من قولهم حرضا

حرجا شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتح

مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد

في قراءة كانما يصعد فيها ادغام

التاء في الاصل في الصاد وفي اخرى

بسكونها في السماء اذا كلف الايمان لشدته عليه ١٢ ج

قوله الاسارير

الاسارير محاسن الوجه والخدان

والوجنتان ١٢ ق

قوله تستشف

بالمعجمة ومهملة من الشف بالفتح وبكسر رقيق قال ابو النصر الستر رقيق من صوف يستشف ما وراءه ١٢ صحاح واستشف ما وراءه اي نظر ما وراءه ١٢ ق

قوله مخايله

مخايل جمع مخيلة اسم لما يتوسم به المرء ولما يتخيل فيه ١٢

قوله تباشيره

التباشير البشرى واوائل الصبح ١٢

قوله الخلق الحسن صفة سيد المرسلين والخلق الحسن ... [illegible]

يفوت حيوة الابد وايمن منه للمرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكّٰها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دسّٰها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجاتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتي في بقية هذا الكتاب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خُلقه القرآن قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل عليه السلام ماذا قال لا اعلم حتى اسأل العليم فعرج ثم نزل فقال يا محمد هو ان تصل الى من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بُعثتُ لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فاتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام اي الاعمال افضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسّن الله خلق عبد وخُلقه فتطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوّل ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوّني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خُلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير ابن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خَلقك فحسّن خُلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خُلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهمّ حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهمّ اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه وحسبه حسن خُلقه ومروّته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على الله تعالى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروي عن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه مم تضحك بابي انت وامي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبنك يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلعم فقال صلعم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم الآثار قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس الخصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق + وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقال لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق + اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضى عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال ابو سعيد الخراز هو ان لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته اليه اذ قال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية

لان من تكلف بذل المال والسكون عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق هي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يصير انقباضها وانبساطها في حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة العقل والشرع واما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الاحوال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن هذه الجملة

كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة + اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطبع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا اصلا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافهما سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجود في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب + الاولى وهو الانسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان + والثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه اولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة الاعتياد للعلاج ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم والثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال + والرابعة ان يكون مع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل + ومن العناء رياضة الهرم + ومن التعذيب تهذيب الذيب + والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت

شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وهلك ومهما
بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب
ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا
وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة
عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه
غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث
لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان
بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك
دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد
اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال في الغضب اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض
هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون
ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك
مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وابعد
عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن
والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده
الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص له في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر
المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر
المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع ايضا
وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة
والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تاديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام
وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا
جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه
الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه
ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به
جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه
ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته ان يصير الفعل الصادر
منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ
الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق
الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات
وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها
لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضاء فان لم تستطع

الفاتر الماء الذي لين حرارته

ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي
ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال
طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة فلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب
اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه
الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه
الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع
والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في
النفس عجائب اغرب من ذلك وانا قد نرى الملوك المنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه
ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له
وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها
وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك
متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه فيقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصبر على الانكار
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة
اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنيثه
يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة
على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف واذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف
لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين فقد
يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب
فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن
مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحيوتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن
مرض بقدر ميله الا اذا كان احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه
الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس و
البدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب
والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما
يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه
حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه
حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من اراد ان يصير
فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد
ان يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب
فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت
اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل
نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة
فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب

باز اء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي ليسوف نفسه يوماً فيوماً الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه وكذلك يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه عن مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق • قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق في مزاج البدن وهو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضاً فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهي تكلفاً وكما انه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدأ جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه اولاً الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولاً بمال حرام او مقارفاً للمعصية فيامره اولاً ان يتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلاً الى ذلك فرحاً به ملتفتاً اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس

في القاموس ... ولعل المراد ههنا الكبر مشتق من الرعن وهو انف يتقدم الجبل

التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيامره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره ان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكي عن بعضهم انه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على هيئة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يستلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

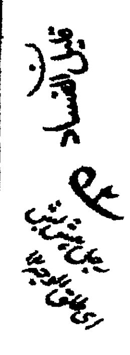
بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة

اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار او غيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها اشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فمن عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات اصول الامراض واما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال

بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان
كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله
لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير مستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك
بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع
علاقة قلبك من الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج
ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة
بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها
رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا + ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم
في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا
بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم
سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ اوجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روي ان بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قلت قد
يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان
يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة
الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب فنسأل الله الكريم ان يجعلنا
من المتقين + **بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه** + اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت
بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في
عين نفسه فمن اراد ان يعرف عيوب نفسه فله اربعة طرق + **الاول** ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه
في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا
قد عز في هذا الزمان وجوده + **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من
اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله
امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين
على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له انت
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته
لنفسه رضي الله عنه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة
فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا يخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك
بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين
ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا ان يكون مفصحا عن ضعف
الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب
وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن فلا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب اخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او آلافا
من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا
العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون ذلك من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل
ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله + **الطريق الثالث** ان يستفيد
معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر

من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة ومن قلة المنام صفو الارادة ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن محمد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال ايضا من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ان ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فجلست فلم اطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته

وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت
قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في
السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذاً قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة
الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة
وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة و
الضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بان
يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم
يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه اربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضروريات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي
الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه الا من حيث حديث
النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من
ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول
مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك
من خزيك فانك انت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا
رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة ايضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال
ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرايت رجلا
مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف
عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله عز وجل فلو سألته ان يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من
شهوة الرمان فان لذغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولذغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري انا منذ اربعين سنة
تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع
بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات في الدين حتى تموت منه
شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك
سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعودها
الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم في الدنيا
وتركن اليها وتطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب
الخوف والحزن وذكر الموت واهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحيوة الدنيا في
الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة
فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة
الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها
الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب عذب في عرصات القيمة فخلصوا انفسهم
من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته
وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأدب فانه يحبس اولا في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به
الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع
صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات
ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على
المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه

عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام
تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج
واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا فتمنع عن السراح الذي الفته بالسلاسل والقيود ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك
تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بان تمنع من النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له احبب ما احببت
فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه
في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اولا اياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر
وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة او دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة
فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قال علي رضي الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل
فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس
والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك فقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح
بالحيوة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى
والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقطع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب
والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت بيان تمييز علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد
نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق
فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق
فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله اولئك هم
الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله
اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة
فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها
دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار
بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق
فقال صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان ينظر الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال
صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن
الخلق فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا
شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله و

يبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته
في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل
احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه و
المنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد
والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى
واحتمال الجفا ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما
يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس رضي الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم احد فلذلك انزل الله تعالى فيه وانك لعلى
خلق عظيم ويحكى ان ابراهيم بن ادهم خرج يوما الى بعض البوادي فاستقبله رجل جندي فقال انت عبد قال نعم فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة
فقال الجندي انما اردت العمران فقال هي المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما الخبر فاخبرهم الجندي
ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت له انا عبد فقال انه لم يسألني
عبد من انت بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت انني اوجر على ما نالني منه فلم
ارد ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي قد اراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع
ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة
فرده حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لا يتغير من ذلك فانكب على رجليه وقال يا استاذ انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ان الذي
رأيت مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي عنه ايضا انه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته
فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب انتهى
وروي ان علي بن موسى الرضى رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا اراد دخول
الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فاغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل
فرأى علي بن موسى الرضى فظن انه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب
الرستاقي فسمع كلامه مع علي بن موسى الرضى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي
له ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان ابا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان
اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زائفة فكان ابو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما ان ابا عبد الله قام لبعض حاجته
فاتى المجوسي فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد ابو عبد الله اخبره
فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وانا اصبر عليه وآخذ الدراهم منه والقيها في البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط
علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى
والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق
فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم
قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها
لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان اويس القرني كان اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فبالصغار حتى
لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يجيبه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض
سفهاء الحي فيؤذوك وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال بلى
قال فما حملك على ترك اجابتي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا مرائي فقال
يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لاتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة
فاعتدلت اخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فاثمرت الرضاء بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى
به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن
بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصادقون بيان الطريق في رياضة
الصبيان في اول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واوكدها والصبي امانة عند والديه وقلبه
الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا
والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن
الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد

بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه
نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فانه
اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء
وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان
على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه
بسم الله عند اخذه وان ياكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من ياكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان
لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من
يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة
به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان
الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين
عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب ردي
الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القرآن و
احاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة
الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود
فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك
ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة
حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك
في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه
وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل
ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم
وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة
حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه
والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من
الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من
اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان
حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على
الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على
رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على
الوقاحة وانه فعل ابناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صادقا كان او كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع ان يبتدي بالكلام ويعود ان لا يتكلم
الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو
الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء واصل تاديب الصبيان
الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة
الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب
فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي ان يعلم طاعة
والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ

سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويؤمر بالصوم في بعض ايام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه
من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب
البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها
لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس
العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا
ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه
عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى
احد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت وانا
ابن ثلاث سنين اقوم الليل فانظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات
فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه
الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه
وناظرا اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب
اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير
اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوني الى اهل البصرة لاسأل عنها فاتيت البصرة فسالت علماءها فلم يشف
احد عني شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن ابي عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه و
اتادب بادابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر على اوقية كل ليلة
بحتا بغير ملح ولا ادم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على
ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ما شاء الله تعالى

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة +

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها
سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة
ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي
الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها واما حقيقتها فلا و
مثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة
عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة
ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان
طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله
تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه
من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من
التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق + اما الشروط التي لا بد
من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب
المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب
الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان
يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديقا ايمانيا ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى حتى اذا

فمن ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب
لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلاً واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا
التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان
يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولاً ثم
الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولاً وآخراً ثم الترقي الى غوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه
كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلوة فيحتاج الى امام فيقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه
الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادي
المهلكة بنفسه بغير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر
فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورده
ولا صدره ولا يبقى في متابعته شيئاً ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم
وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان
مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه واما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته
مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الابدال ابدالاً الا باربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال
عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف
ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة
الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضاً نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا
كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص
رحمه الله اجمع راي سبعين صديقاً على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء + واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له
بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد
للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى + واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز
القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل
منها لينفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص
فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي
مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل
له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تندفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده
بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات
اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اعني اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها
اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد ان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة
وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة
الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه
على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر
الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتاً الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تاتيني فيها الى الجمعة
الاخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق
المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين

القوت الحلال ثم عند ذلك يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولأي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة. قال بعض السياحين قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذه هي العلة قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان يخلو قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والأسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه و يقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بذلك

او هذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له اوائل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منهما الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانه يأتي في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب +

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه بما يتلذذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه **اما بعد** فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول تجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين + **بيان** فضيلة الجوع وذم الشبع + قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل

ملكوت السماء من ملاء بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد
الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف وكلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء
من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم
عند الله منزلة يوم القيامة اطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وابغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان
يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ابتليته
بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة
الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه
ان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وابي هريرة الحديث الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان اقرب
الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم
بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل فرش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس
فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف
اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم
بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رأيتهم في بلدة
فاعلم انهم امان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت
ان يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار
وقال الحسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر
الحواريين اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك ايضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة
ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ
السمين من الشبع وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال
صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء اي يأكل سبعة اضعاف ما يأكل المؤمن وتكون شهوته سبعة اضعاف شهوته وذكر المعا
كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعا وليس المعنى زيادة معا المنافق على معا المؤمن وقال الحسن عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروي ان ابا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله
صلعم فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلعم لم يمتلئ قط شبعا وربما
بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني
من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم فالصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة
فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن انس قال جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة
ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان
ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة **واما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة
فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه اي شيء تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي بلا مصباح اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد
مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله
طوبى لمن كانت له غليلة تقويه وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهي اجعتني واجعت عيالي

وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك قال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة
وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة
من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا و
عشرين ليلة لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام
اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع في الدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال
وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد قال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد
عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سأل الله ان يجعلها ليلتين فاذا
كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر بين السماء والارض الجوع ورأس كل فجور
بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان
لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد يشرب من هذا الماء حتى يروى فيسلم من المعصية وان
شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل
ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى
ان الله ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن
مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل
للمنام وقال بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا
لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة واذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا
ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم ان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان
اذا خطر لي شيء اكلته من غير فكر وخاطر وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما **بيان فوائد الجوع وآفات الشبع**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه
الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الاجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء المكروهة
وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه في المذاق وهو غلط
بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا
لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح ذلك لك ان اردت
ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الفائدة الاولى**
صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل
القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمان
الداراني عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة
الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكوة وزكوة البدن الجوع
وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل
الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة
ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد البسطامي الجوع سحاب
فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين
والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه
الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه

حجابا من قسوة القلب قد يرق في بعض الاحوال فتعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال ابو سليمان الداراني احلى ما تكون الى العبادة اذا التصق بظهري بطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذًا تأثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية

الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل لشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الآخر

الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهيج الخوف فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن الم الجائع

الفائدة الخامسة وهي من اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلأن احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلوة وانما ذكرنا اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه

بالاكل وربما يحتاج الى الشمان فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السرى رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا قال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغى ان يستوفى منها خزانة باقية فى الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الدارانى الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفائدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب من انواع من المعاصى واقتحام الشهوات وفى الجوع ما يمنع ذلك كله + حكى ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء فيه فقال الهندى الدواء الذى لا داء فيه عندى هو الهليلج الاسود وقال العراقى هو حب الرشاد الابيض وقال الرومى هو عندى الماء الحار فقال السوادى وكان اعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذى لا داء معه عندى ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد واظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة مجتابا بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء فى ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الرجل بطنه الرمان واضر ما ادخل معدته الملح ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفى الحديث صوموا تصحوا ففى الصوم والجوع وفى تقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد اعين الطمع الى الناس وهو غاية [illegible] والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء انى لاقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك اروح لقلبى وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيرى لشهوة او زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى خير غريم لى وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يسأل اصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم فى ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شئ فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهى ابواب النار وفى حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادمنوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن رضى الله عنه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال [illegible] على السموات السبع [illegible] الطرائق التى زينها بالنجوم [illegible] العرش العظيم فقال لها [illegible] فقالت وما فيها قال ان احسنت [illegible] وان اسأت [illegible] فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فابت ثم عرضها على الجبال الشم [illegible] فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان [illegible] فما اضعوها [illegible]

للبلاء وهم من الله في عافية يقول قائلهم اطعموني كذا وكذا وائتوني بكذا وكذا يتكي احدهم على شماله ويأكل من غير ماله خدمته سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء اهضم به طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين المسكين اين اليتيم الذين امرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من ان يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله لبطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان والله اعلم بالصواب

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن + اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف الاولى ان لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنتين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع قوة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا واخلط الجميع واسوي منه ثلاث مائة وستين اكرة آخذ في كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بغير حد ولا توقيت ويحكى عن بعض الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام + الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم او تسع لقم + الدرجة الثالثة ان يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس + الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه او طلبت اداما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيئا حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني منزلة يوم القيامة افرطوا بكم لاني من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين

واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر
بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق
والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت
الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل ومقدار تاخيره
وفيه ايضا اربع درجات ✢ الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى
ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم ودحيم وابراهيم التيمي و
حجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن احمد الخواص وقد كان
ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان
الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما ظهرت له
قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية ✢ وقد وقف بعض اهل هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه
من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي
فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين
يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة
عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعته وحاجته ✢ الدرجة الثانية
ان يطوي يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة ✢ الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر
في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد
من السنة فقد روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في
كل يوم اكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والسرف فان اكلتين في كل يوم من السرف واكلة واحدة في كل يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام
بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل
الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل
وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت
قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند
الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن النفس ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني
على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل في يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الاكل وتباعده و
تقاربه **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الطرفة واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل
واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات والادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام
بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره
الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا
عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا
انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات
فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين
ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى
نفسه بالنعيم فتانس بالدنيا وتالف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور
معاص وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشددون في القول

في الكلام * واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة
وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة
فقال احدهما للآخر من اين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه
على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى
اعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية
فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام
لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريناها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها
فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما واخذها واتى بها فوضعها بين يديه وقال قد
اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة
فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار
الى ان المقصود رد الم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر
لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فاتوه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده
وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفسي بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر
دقيقا قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب
وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول له مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام
فلان قد سددت عني كلب الجوع وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وهو
جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا ابا اسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر
علي فقلت يا اخي قل ما شئت فقال لي اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدي حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس اذا انا
بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال
لي فان اطعمك الله فكل فما كان لي جواب الا اني بكيت فقال لي كل رحمك الله فقلت قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله
فانما اعطيته فقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعمه نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها * اعلم يا ابراهيم اني سمعت
الملائكة يقولون من اعطي فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله
شيئا وقال يا خضر لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال شقيق فقلت ارني كفك فاخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من
يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء
وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك
قال فقام ابراهيم ومشى حتى ادركنا البيت وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فراوده فاكله
فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة
ثم طرحه واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك
بن ضيغم مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة و
مكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة
ولا بسرة فما زاد فيكم مما نقص مني ولا نقص مني مما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين
سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسي اشتهيت جزرا فاطعمتك
جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة
المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني
حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة

قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروى ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت
من نفسي ان ادافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم وخبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت الست انت ابن فلان وقد مات
ابوك قال بلى فناولته اياها قالوا واقبل يبكي ويقرأ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات
يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى اظلمت الدنيا ففزع الناس فاقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجرأتي عليك وشرائي
التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك على ان لا تذوقيه واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا واقبل ليلته كلها يقول لنفسه
ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما اعرفها
من نفسي فقال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض
اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصر امرني
الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فلما اشتريته اخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم القاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف
في قلبي هاتف اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت
اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته
على ذلك وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية
على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد
آخر وقال السري السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا تقول له نفسه انا اصبر لك
على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب
اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه
كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه
ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء
من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسألته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت واي شيء تقول انت فقال اعلم ان البطن دنيا
العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل مرة فاتى عبد الرحمن بن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه
من المأكولات فقال تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال اشرح لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذباجة فقال له بشر هل تعلم شيئا اقل
من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل قال ثم قال اتعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال
الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل من الاسفيذباجة يقوم مقامها قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناها فقال له عبد الرحمن انت اعلم مني
بالطب فلم تسألني فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم
كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز
وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه
ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل
ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت
النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او ليجلس فيذكر الله تعالى
فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة
او يقرأ جزءا من القرآن عقيب كل اكلة فقد كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده مرة ويقول
اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة و
شهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف
فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها

فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا احسن ان اصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان اول شيء استقبلني به سمكا وخبز ارز وقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للعبد من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه بمحمد وآله وصحبه

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه

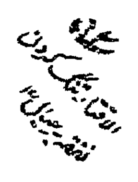
اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات فمن اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي تحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء الى الاعتدال انما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني قد كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له عائشة رضي الله عنها قد اهدي لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي عن سهل انه قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التين ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت اني آكل كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيب الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل مثل هذا فقال ان اخي بشرا

النبق ثمر السدر

قبضه الورع و بالسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي فاذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي وللاعتراض والتمييز *
ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواري فقيل يا ابا اسحاق بهذا كله
قال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري
فقال له الثوري يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي اخذ العلم من السماع
والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين
سنة يشتهي ان يغمس جزرة في دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة
الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط او الغبي المغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي
اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى علي من نفس معروف
الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في ماله
وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات
لا يسلم الا لمن ينظر من مشكوة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى
والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره فينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء في يده ويقول
اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه الاسرار لا يجوز للشيخ ان يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه
الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة
فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان
يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كي لا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة و
اصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في
حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مادوما بسمن فعلاه
بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على
اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى اعلم

بيان آفة الرياء المتطرق الى من يترك اكل الشهوات ويقلل الطعام

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات * احديهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض
الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء
عن بعض الزهاد فسكت فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات
وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل على فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان
متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا الكفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر
المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات
لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما
يقصد به التلبيس بحاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزاهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين
فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم
... صبرين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهرا فياخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا
... فيه فلا ينبغي ان يعزه قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا
لغيرك ... غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره
... عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات * الآفة الثانية ان يقدر



على ترك الشهوة لكنه يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي
شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى له قال ابو
سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتنغصت عليها
اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان هي اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها
وان اخفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك
شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق + القول
في شهوة الفرج + اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين + احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت
لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس
ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق + الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في تاويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن
عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل
وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال عليه السلام النساء
حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه
برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من انت فقال انا ابليس فقال لا حياك الله ما
جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال برنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا
صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة
لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة
فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم +
وعن سعيد بن مسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة
بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به
فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا
لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين
حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين + احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد
يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال
لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص
فان قلت فقد روي في غريب الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه
وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع + والامر الثاني
انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة
الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحيى منها حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا
لا يكتفي الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة
ويحتال لاجلها وما العشق الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا
استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والعود والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي
على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند
توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها
ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما في اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد

يؤدي الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا
مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ۞ **بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله** ۞ اعلم ان المريد في ابتداء امره ينبغي ان لا يشغل قلبه
ونفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغله عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا
وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى
وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله
تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا
ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان انسه بالخلق عارضا
رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ
احواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة
هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين
مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها
وزنا العين من كبار الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه
السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة
وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى
ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء
فان اول فتنة بني اسرائيل كان من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان و
زناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت
ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا اوليس باعمى لا يبصرنا فقال
وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة
الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه من النساء ولم يقدر على حفظها
عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام
بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا
محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وبين ماء صاف
وماء كدر وبين شجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة
الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة
فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف
المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما انا باخوف من السبع الضاري
على الشاب الناسك من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا وعن بعض
السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد
عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت
الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي
فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فاتاني شخص في المنام فقال لي اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك

قلت نعم فقال مُذ رقيناك فمددته فما فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاود ذلك او اشد منه فرايت كان شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلناه في كتاب احكام النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر حرصا على مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق + تزوج بعض المريدين بامراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى ابيها وقالت تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها اصابها الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حينئذ فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق + وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتاذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم ليس تمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصيرك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطورك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزبة فهو الاولى وان عجز عن ذلك فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس ابليس من احد الا واتاه من قبل النساء وقال سعيد ايضا وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما اتيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال هلا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي فاسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك انه لم ير اربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الي لاتيتك فقال لانت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا او سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظهم لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر اتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو وقال ان رابك امر فالعصا فانصرفت الى المنزل فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد ابن المسيب هذه قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد [illegible] فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة [illegible] في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح [illegible]

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة هي اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة فقد روي عن سليمان بن يسار انه كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعنه ما هو اعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وجلس سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورعهم فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فانحدرت اليه فلما رات جماله وجهه جاءت حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازات فكشفت عن وجهها البرقع كانه فلقة قمر وقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فاضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي الشيطان ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت اهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر الاسود فاحتبى بثوبه فاخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله تعالى من انت قال له انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله تعالى بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذي له وذهب فثمرت له اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اعطني اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله اتهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فخذه فاستاقه واخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخيل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتالم لانه قصد الالتذاذ وقد فعل فلا يخلو في كل حال عن معصية وعن تالم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق

اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان الخطرات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التمكن روى عن ابى بكر بن عبد الله المزنى ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها فى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لى ولكنى اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض انبياء بنى اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو بان تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فأدعو فادع انت قال انا ادعو وامن انت على دعائى فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت ان ليس لك عمل صالح وانا الذى دعوت وانت الذى امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع منى كلمات اكلمك بها فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفى هذا جهالة منى بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا منى والذى حملنى على ان لقيتك فى مثل هذا الامر بنفسى لمعرفتى ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد على مثل القوارير ادنى شئ يعيبها وجملة ما اقول لك ان جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى امرى وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلى فلم يعقل كيف يصلى فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة فى موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى ايتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة اخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فانى اذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم وانى والله قد ضعفت عن اصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وان كان ما ذكرت حقا فانى ادلك على طبيب هدى يداوى الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فانى مشغول عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم انها جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابدا الا بين يدى الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله الذى بيده مفاتيح قلبك ان يسهل على ما قد عسر من امرك ثم انها تبعته وقالت امنن على بموعظة احملها عنك واوصنى بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم انها افاقت ولزمت بيتها واخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايأستها من نفسك فيقول انى قد ذبحت طمعها فى اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فانا استحيى منه ان استرد ذخيرة ذخرتها عنده تعالى ❊ تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذى اكرمه وبجله ونبيه الذى ارسله بكتاب انزله واتى فضله ورتب سبله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفى فان كل ما يتناوله العلم

يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور
والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في
الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار
ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما
يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه
لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء
الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز
عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة
المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين
للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما
يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان المعاريض في الكذب ثم آفة
الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى
الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف اهي قديمة او محدثة
وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه ❊ **بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت** ❊ اعلم ان خطر اللسان
عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وروى
عن عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فأومأ بيده الى لسانه وقال
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله القبقب هو البطن
والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون
المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن
جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله
ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه وقال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه
وقال انس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه
وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء
كلها تذكر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رأى ابا بكر الصديق رضي الله
عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ من الجسد الا يشكو الى الله
اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا
شئ تقوله او شئ سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي عن معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله
كانك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به
الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من
ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول وقال عليه السلام اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذى يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذى يخوض فى الباطل وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشئ يدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشئ امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **الآثار** كان ابوبكر الصديق رضى الله عنه يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذى لا اله الا هو ما من شئ احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لسانى سبع ان ارسلته اكلنى وقال وهب بن منبه فى حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعى كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة فى دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس ابن عبيد ما من الناس احد يكون منه لسانه على بال الا رايت صلاح ذلك على سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له ما لك يا ابا بحر لا تتكلم فقال له اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت + وقال ابو بكر ابن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر انى اذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكنى وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطاء والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قل ما يقدر ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة + اما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفى منفعته بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره ان شاء الله تعالى علم قطعا ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتى الله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته من بحار المعانى الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى **الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك** + اعلم ان احسن حالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيره وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر فى الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت امه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان

سل بخبر كنفر و فرح تحقيق علم ... سقط باقرينه خطا كردن درگفتار و حساب و كتابت ... اى نفس دريا بيك تيرون قرار ... علم ... الفسنكم

يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احب الي من الدرهم الموقوفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه وعامل اخاك بما تحب ان يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتذكر لهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الاوقات بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

الآفة الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امرا بمعروف ونهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم اذا نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان

تكون فضلة وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام
لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله
عليه وعلى آله وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان
وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا
علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه
الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول كلامكم بحسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل
ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان اعمالك فاعمل ما شئت
واكثر او اقلل وروي ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه بانه مر في السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر
الى الناس وهز راسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون
وقال ابراهيم التيمي اذا اراد المؤمن ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر
ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم كم دون
لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني قال افما كان لك في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي
رجل شرا من فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه انه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس
فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان في
الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان
خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث اليه وعلاجه ما سبق
في الكلام فيما لا يعني **الآفة الثالثة** الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء
وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى
ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يأمن من الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض
الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي
هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت
يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وان الرجل
ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة
بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة
اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في
الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها
ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث
فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه ❊ **الآفة الرابعة** المراء والجدال ❊ وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار
اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما
عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل
عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم
الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن

عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل
العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال
ايضاً المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برايه فقد تمت
خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال ايضاً صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية
تمنعك العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثماً ان لا تزال ممارياً وقال صلى الله عليه وسلم تكفير
كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة
فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب
نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك اخاك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر من ان يحصى وحد المراء هو كل اعتراض
على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقاً فصدق به
وان كان باطلاً او كذباً ولم يكن متعلقاً بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو ومن جهة اللغة او من
جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تاخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما
في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من وجه كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض
وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضاً مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة
العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور
والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروهاً عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة
من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان
باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات
الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان
وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء
الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور له
فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه وإلجامه واما علاجه
فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج
كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعاً حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي عن ابي حنيفة رحمة الله
عليه قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة
اشد علي منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء
وهو محق بنى الله له بيتاً في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون
الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال
يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرفت ان النصح
لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله
هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزاً وقبولاً قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعاً اذا اجتمع
عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها + **الآفة الخامسة الخصومة** + وهي
ايضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال
عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً
والمراء لا يكون الا اعتراضاً على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم

ورع وطء في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك هٰهنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي
يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت
لانصرف فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منه شيئا هو لك فان قلت
فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي
يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم و
يتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة
كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك
القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا ابالي وهذا مقصوده
اللدد واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء
ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب
واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد
تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء
والجدال فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على
الواجب في خصومته فيسلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا
للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا
خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت
بر طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ابن
عباس ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها
من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام والان الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله
اتقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة
وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء كل
كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده
الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه
وكرمه + **الآفة السادسة** + التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة
المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم انا واتقياء امتي برآء من التكلف
وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون
ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن ابي وقاص الى ابيه
سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي
على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة
وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال اسجعا كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل
في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه وهو

لا ثق به فاما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها التسجيع والتشدق والاشتغال بها من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار
الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه ❊ **الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان** ❊ وهو مذموم ومنهي
عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ان تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد
اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها [illegible] وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعائشة
يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان [illegible] ان يرد بالبيان [illegible]
كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور [illegible] فان [illegible]
العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه [illegible]
مقرونا بالبذاء فيشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى [illegible] دون التكشف [illegible] وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند [illegible] وسلم [illegible] فقال صلى الله عليه
وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم [illegible] يحشر [illegible]
يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوأ الداء [illegible]
[illegible] فهو التعبير عن الامور المستقبحة [illegible]
عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون [illegible] لتعرض [illegible]
بها وقال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة [illegible] وليست بفاحشة [illegible]
عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض [illegible]
بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة [illegible]
اولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة
الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر وقالت ام الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها
يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري
مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت
ابطه خراج فاتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما [illegible]
الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله [illegible]
تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده [illegible] يا رسول الله [illegible]
ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان قال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى [illegible]
حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال
يسب ابا الرجل فيسب الآخر اباه ❊ **الآفة الثامنة** اللعن ❊ اما لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال
عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني انظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا
وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر اصديقين ولعانين كلا ورب
الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه واتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اللعانين
لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم

يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف
بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه
حكم على الله عز وجل بانه قد ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا اطلعه الله عليه والصفات
المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة
الثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك
جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله
ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن على الشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل
شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا اما شخص بعينه
في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا
في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة
وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر
ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر
فهو في زيد الفاسق وزيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت
على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان
من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه
اذى على مسلم وان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني
هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم
اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لعن
فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه
قاتل الحسين او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز
ان يقال قتل ابن ملجم عليا رض وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي
رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا
فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه
الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلعم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به
الاحياء وقال عليه السلام ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال
قاتل الحسين لعنه الله او الامر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه
خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة
الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي
بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال
انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج

منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد ابن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة ✤ **الافة التاسعة** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الانصاري ان يهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ✤ شعر ✤ ولو لم يكن في كفه غير روحه ✤ لجاد بها فليتق الله سائله ✤ فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو راك ابو بكر الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول ابو بكر الهذلي قلت يقول هذين البيتين ✤ شعر ✤ ومبرأ من كل غبر حيضة ✤ وفساد مرضعة وداء مغيل ✤ واذا نظرت الى اسرة وجهه ✤ برقت كبرق العارض المتهلل ✤ قالت فوضع صلى الله عليه وعلى اله وسلم ما كان بيده وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين امر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي اخره ✤ شعر ✤ وما كان بدر ولا حابس ✤ يسودان مرداس في مجمع ✤ وما كنت دون امرئ منهما ✤ ومن تضع اليوم لا يرفع ✤ فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم اتقول في الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بابي انت وامي اني لاجد الشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين ✤ **الافة العاشرة** المزاح ✤ واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا له واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا الا ان مثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رئي ضاحكا حتى مات وقال يوسف ابن سباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه افة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم عليه فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله فر به فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اذا ادى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي

ای یابنی لا تمازح الصبیان فتهون عندهم وقال سعید بن العاص لابنه یا بنی لا تمازح الشریف فیحقد علیک ولا الدنی فیجترئ علیک وقال عمر بن
عبد العزیز رحمه الله تعالی اتقوا الله وایاکم والمزاح فانه یورث الضغینة ویجر الی القبیح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل علیکم فحدیث حسن من
حدیث الرجال وقال عمر رضی الله عنه اتدرون لم سمی المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقیل لکل شیء بذر وبذر العداوة المزاح ویقال المزاح مسلبة للنهی
مقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلی الله علیه وسلم واصحابه فکیف ینهی عنه فاقول ان قدرت علی ما قدر علیه رسول الله صلی الله علیه وعلی آله
وسلم واصحابه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذی قلبا ولا تفرط فیه وتقتصر علیه احیانا علی الندور فلا حرج علیک فیه ولکن من الغلط العظیم ان
یتخذ الانسان المزاح حرفة یواظب علیه ویفرط فیه ثم یتمسک بفعل الرسول صلی الله علیه وسلم وهو کمن یدور نهاره مع الزنوج ینظر الیهم والی رقصهم
ویتمسک بان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذن لعائشة فی النظر الی رقص الزنوج فی یوم عید وهو خطأ اذ من الصغائر ما یصیر کبیرة بالاصرار ومن
المباحات ما یصیر صغیرة بالاصرار فلا ینبغی ان یغفل عن هذا نعم روی ابو هریرة انهم قالوا یا رسول الله انک تداعبنا (ای تمازحنا ۱۲) فقال انی وان داعبتکم فلا اقول
الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس اکان رسول الله صلی الله علیه وسلم یمزح فقال نعم قال الرجل فما کان مزاحه قال ابن عباس انه صلی الله علیه
وسلم کسا ذات یوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسیه واحمدی وجری منه ذیلا کذیل العروس وروی انس ان النبی صلی الله علیه وعلی آله وسلم
کان من افکه الناس مع نسائه وروی انه کان کثیر التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال لها صلعم لا یدخل الجنة عجوز فبکت فقال
انک لست بعجوز یومئذ قال الله تعالی انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابکارا وروی زید بن اسلم ان امراة یقال لها ام ایمن جاءت الی النبی صلی الله علیه وعلی
آله وسلم فقالت ان زوجی یدعوک قال ومن هو اهو الذی بعینه بیاض قالت والله ما بعینه بیاض فقال بلی ان بعینه بیاضا فقالت لا والله فقال صلی الله
علیه وعلی آله وسلم ما من احد الا وبعینه بیاض واراد بالبیاض المحیط بالحدقة وجاءته امراة اخری فقالت یا رسول الله احملنی علی بعیر فقال بل نحملک علی
ابن البعیر فقالت ما اصنع به انه لا یحملنی فقال صلی الله علیه وسلم ما من بعیر الا وهو ابن بعیر فکان یمزح به وقال انس کان لابی طلحة ابن یقال له ابو عمیر وکان
رسول الله صلی الله علیه وسلم یأتیهم ویقول یا ابا عمیر ما فعل النغیر لنغیر کان یلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضی الله عنها خرجت مع رسول الله
صلی الله علیه وسلم فی غزوة بدر فقال تعالی حتی اسابقک فشددت علی درعی ثم خط خطا فقمنا علیه واستبقنا فسبقنی وقال هذه مکان ذی المجاز و
ذلک انه جاء یوما ونحن بذی المجاز وانا جاریة قد بعثنی ابی بشیء فقال اعطینیه فابیت وسعیت وسعی علی اثری فلم یدرکنی وقالت ایضا سابقنی رسول الله
صلی الله علیه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقنی فسبقنی وقال هذه بتلک وقالت ایضا رضی الله عنها کان عندی رسول الله صلی الله علیه وعلی آله وسلم
وسودة بنت زمعة فصنعت خزیرا وجئت به فقلت لسودة کلی فقالت لا احبه فقلت والله لتأکلن او لألطخن به وجهک فقالت ما انا بذائقته فاخذت
من الصحفة شیئا فلطخت به وجهها ورسول الله صلی الله علیه وسلم جالس بینی وبینها فخفض لها رکبته لتستقید فتناولت من الصحفة شیئا فمسحت به
وجهی وجعل رسول الله صلی الله علیه وعلی آله وسلم یضحک وروی ان الضحاک بن سفیان الکلابی کان رجلا دمیما قبیحا فلما بایعه النبی صلی الله علیه وعلی آله وسلم قال ان
عندی امراتین احسن من هذه الحمیراء افلا انزل لک عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان یضرب الحجاب فقالت اهی احسن ام انت فقال بل انا
احسن منها واکرم فضحک رسول الله صلی الله علیه وسلم من سؤالها ایاه لانه کان دمیما وروی علقمة عن ابی سلمة انه کان صلی الله علیه وسلم یدلع لسانه
للحسن بن علی علیهما السلام فیری الصبی لسانه فیهش له فقال له عیینة بن بدر الفزاری والله لیکون لی الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلی
الله علیه وسلم ان من لا یرحم لا یرحم فاکثر هذه المطایبات منقولة مع النساء والصبیان وکان ذلک منه صلی الله علیه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غیر میل
الی هزل وقال صلی الله علیه وسلم مرة لصهیب به رمد وهو یاکل تمرا اتاکل التمر وانت رمد فقال انما اکل بالشق الآخر یا رسول الله فتبسم رسول الله صلی الله علیه وسلم
قال بعض الرواة حتی نظرت الی نواجذه وروی ان خوات بن جبیر الانصاری کان جالسا الی نسوة من بنی کعب بطریق مکة فطلع علیه رسول الله صلی الله علیه
وآله وسلم فقال یا ابا عبد الله ما لک مع النسوة فقال یفتلن ضفیرا لجمل لی شرود قال فمضی رسول الله صلی الله علیه وسلم لحاجته ثم عاد فقال یا ابا
عبد الله اما ترک ذلک الجمل الشراد بعد قال فسکت واستحییت وکنت بعد ذلک اتفرر منه کلما رایته حیاء منه حتی قدمت المدینة وبعد ما قدمت
المدینة حتی طلع علی یوما وانا اصلی فی المسجد فجلس الی فطولت فقال لا تطول فانی انتظرک فلما سلمت قال یا ابا عبد الله اما ترک ذلک الجمل الشراد بعد
قال فسکت واستحییت فقام وکنت اتفرر منه حتی لحقنی وهو علی حمار وقد جعل رجلیه فی شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترک ذلک الجمل الشراد بعد فقلت
والذی بعثک بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اکبر الله اکبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وکان نعیمان الانصاری رجلا مزاحا
وکان یشرب الخمر فی المدینة فیؤتی به الی النبی صلی الله علیه وسلم فیضربه بنعله ویأمر اصحابه فیضربونه بنعالهم فلما اکثر ذلک منه قال له رجل من الصحابة
لعنک الله فقال له النبی صلی الله علیه وسلم لا تفعل فانه یحب الله ورسوله وکان لا یدخل المدینة رسل ولا طرفة الا اشتری منها ثم اتی بها

النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا رسول الله هذا قد اشتريته لك واهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وعلى اله
وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تأكل منه
فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب
للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشر** السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب
والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم
ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة وقالت عائشة رضي الله عنها حاكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما احب اني حاكيت انسانا ولي كذا
وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن
والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان المستهزئين بالناس
يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه
فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم
يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا
تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة
المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا
تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه او على صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب
فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية عشر** افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف
والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان
من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية رضي الله عنه اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين أسر الي
حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت
وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه فقال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر ولا تعود نفسك افشاءه قال فأتيت
معاوية فاخبرته فقال يا وليد اعتقك ابوك من رق الخطاء فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما
يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الاعادة **الآفة الثالثة عشر** الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما
لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية و
قال صلى الله عليه وسلم الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال انه كان صادق
الوعد قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسي فبقي اسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر
الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدكم اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله
بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم
الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال
ينتظره الى ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول
ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال
ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال
عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من اذا وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما
من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز

ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة عن الوفاء فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتي بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحى بيدي يا رسول الله فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك وقال لقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فيقولون أشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه

الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال إسماعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالإثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا فقال رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يقول في دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تمرا فقال أما إنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وسلم إن للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وروي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه

ترد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان
من خلق اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذبة فما ينحل من صدره
حتى يعلم انه قد احدث توبة لله عز وجل منها وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير لك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه
وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا
يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى
اله وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي صلى الله عليه وسلم
اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل الطعام وخفض الجناح واما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا
عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال
عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم
امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك
ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح ايسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت
في بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا و
قال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال
عمر والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر
على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة
ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق
ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق وهذا الكذب
واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب
دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان
في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا
بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد
الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص
في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب النبي صلى الله عليه وعلى اله
وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الاخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت
اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو اي بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب على اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة
عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك اخذ بيد عبد الله بن
الارقم حتى اتى به الى منزله ثم قال لامراته انشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا
حتى اتيا عمر رضي الله عنه فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فاسال ابن الارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت هي
وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله تعالى انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير
المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحسان
وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب

يكتب على ابن ادم لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته ليرضيها وقال
ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما او دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء
احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود
صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت
وما سرقت وما شربت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه
وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان
يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امراته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعد في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه
الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق
فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون
الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له
فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ
انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء
سمعت امراة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم
المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة
ويدخل في هذا الفتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي لا يتثبته اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري و
هذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد او تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك
يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير
فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد
ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى
الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه
صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة
عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا
هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا
يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء ونسال الله العفو عنا وعن جميع المسلمين بيان الحذر
من الكذب بالمعاريض قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك
عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض
اهون ومثال التعريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ
الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن
جبل عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امراته ما جئت به مما ياتي به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت
امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك
دعا معاذا وقال البعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه واعطاه شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد ربه تعالى
وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان اذا طلبه من يكره ان يخرج اليه وهو
في الدار قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب وهو في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية
ضعي الاصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه

على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب وإياك والكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما أشبهه وأما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه وأما قوله عليه السلام إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها في النار أبعد من الثريا أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله طلبتك كذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذته منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا قال إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص من خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول فأين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام إن من أعظم الفرية أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول علي ما لم أقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد شعيرة وليس بعاقد لها أبدا

الآفة الخامسة عشر الغيبة والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو هريرة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ثم يتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليم بن جابر أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإذا أدبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وأوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وإنهما يستحييان أن تأتياك فائذن لهما أن تفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك فقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك

فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل واربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستتر من بوله فدعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرس على قبر وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وعلى اله وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله فيضج ويكلح وروى ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء واقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وامرهما ان يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال في ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول قال الحسن والله للغيبة اسرع في دين الرجل المؤمن من الاكلة في الجسد وقال ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه الصلوة والسلام ما اشد بياض اسنانه كانه صلى الله عليه وعلى اله وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه كيف ما كان واما النسب فبان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق فبان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق او كذاب او شارب خمر او خائن او ظالم او متهاون بالصلوة والزكوة او لا يحسن الركوع والسجود او لا يحترز من النجاسات او ليس بارا بوالديه او لا يضع الزكوة موضعها او لا يحسن قسمتها او لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس او لا يرى لاحد على نفسه حقا او يرى لنفسه حقا على الناس او انه كثير الكلام كثير الاكل او انه نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امراة وكثرة صلوتها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وذكرت عنده امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم في حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فانه به مغتاب عاص لربه واكل لحم اخيه بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قال ارأيت ان كان في اخي ما اقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا تغتابن احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت مضغة لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل

ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولّت اومأت بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام
قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجا كما يمشي فهو غيبة بل هو اشدّ من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وعلى آله
وسلم عائشة حاكت امرأة قال ما يسرّني اني حاكيت احدا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في
الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت
ومن الغيبة ان تقول بعض من مرّ بنا اليوم او بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم
عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر او
بعض اهل العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح
ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر عنده
انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منها وانما
قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور
وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا
مزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة
من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك انه يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما
اعجب هذا حتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك
يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله ان يروّح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه
في خلوته عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو في كل ذلك يظهر الدعاء
والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة
على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما علمت انه
كذلك ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل
الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه
ان فلانا لنؤوم ثم انهما طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه قال بلى
انكما اكلتما من لحم اخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا
من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه او بقلبه ان خاف وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله
لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه و
جبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من اذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة
على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا من
ذبّ عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة
وحقوق المسلمين فلا نطوّل باعادتها

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية
منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة

اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج
غضبه فيشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع عن تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير
حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة

الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم
على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر عليهم او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة و
يظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقائه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي

الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطوّل لسانه فيه ويقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه
ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني

اخبرکم بکذا او کذا من احواله فکان کما قلت * الرابع ان ینسب الی شیء فیرید ان یتبرأ منه فیذکر الذی فعله وکان من حقه ان یبرئ نفسه ولا یذکر الذی
فعل فلا ینسب غیره الیه او یذکر غیره بانه کان مشارکا له فی الفعل لیمهد بذلک عذر نفسه فی فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان یرفع نفسه
بتنقیص غیره فیقول فلان جاهل وفهمه رکیک وکلامه ضعیف وغرضه ان یثبت فی ضمن ذلک فضل نفسه ویریهم انه اعلم منه او یحذر ان یعظم مثل تعظیمه
فیقدح فیه لذلک * السادس الحسد وهو انه ربما یحسد من یثنی الناس علیه ویحبونه ویکرمونه فیرید زوال تلک النعمة عنه فلا یجد سبیلا الیه الا بالقدح
فیه فیرید ان یسقط ماء وجهه عند الناس حتی یکفوا عن کرامته والثناء علیه لانه یثقل علیه ان یسمع ثناء الناس علیه واکرامهم له وهذا هو عین الحسد وهو غیر
الغضب والحقد فان ذلک یستدعی جنایة من المغضوب علیه والحسد قد یکون مع الصدیق المحسن والقریب الموافق * السابع اللعب والهزل والمطایبة وتزجیة
الوقت بالضحک فیذکر عیوب غیره بما یضحک الناس علی سبیل المحاکاة والتعجب والتعجیب * الثامن السخریة والاستهزاء استحقارا له فان ذلک
قد یجری فی الحضور ویجری ایضا فی الغیبة ومنشؤه التکبر واستصغار المستهزأ به * واما الاسباب الثلاثة التی هی فی الخاصة فهی اغمضها
وادقها لانها شرور خبأها الشیطان فی معرض الخیرات وفیها خیر ولکن شاب الشیطان بها الشر * الاول ان تنبعث من الدین داعیة التعجب
فی انکار المنکر والخطأ فی الدین فیقول ما اعجب ما رایت من فلان فانه قد یکون به صادقا ویکون تعجبه من المنکر ولکن کان حقه ان یتعجب ولا یذکر اسمه
فیسهل الشیطان علیه ذکر اسمه فی اظهار تعجبه فصار به مغتابا واثما من حیث لا یدری ومن ذلک قول الرجل تعجبت من فلان کیف یحب
جاریته وهی قبیحة وکیف یجلس بین یدی فلان وهو جاهل * الثانی الرحمة وهو ان یغتم بسبب ما یبتلی به فیقول مسکین فلان قد غمنی امره وما ابتلی به
فیکون صادقا فی دعوی الاغتمام ویلهیه الغم عن الحذر من ذکر اسمه فیذکره فیصیر به مغتابا فیکون غمه ورحمته خیرا وکذا تعجبه ولکن ساقه الی الشر من
حیث لا یدری والترحم والاغتمام ممکن دون ذکر اسمه فیهیجه الشیطان علی ذکر اسمه لیبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالی فانه قد یغضب
علی منکر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فیظهر غضبه ویذکر اسمه وکان الواجب ان یظهر غضبه علیه بالامر بالمعروف والنهی عن المنکر ولا یظهره
علی غیره او یستر اسمه ولا یذکره بالسوء فهذه الثلاثة مما یغمض درکها علی العلماء فضلا عن العوام فانهم یظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا کان
لله تعالی کان عذرا فی ذکر الاسم وهو خطأ بل المرخص فی الغیبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فیها عن ذکر الاسم کما سیاتی ذکره روی عن عامر بن واثلة
ان رجلا مر علی قوم فی حیوة رسول الله صلی الله علیه وعلی آله وسلم فسلم علیهم فردوا علیه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انی لابغض هذا فی الله
تعالی فقال اهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا یا فلان لرجل منهم قم فادرکه واخبره بما قال فادرکه رسولهم فاخبره فاتی الرجل رسول الله صلی الله
علیه وسلم وحکی له ما قال وساله ان یدعوه له فدعاه وساله فقال قد قلت ذلک فقال صلی الله علیه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رأیته
یصلی صلوة قط الا هذه المکتوبة قال فاساله یا رسول الله هل رآنی اخرتها عن وقتها او اسأت لها وضوءها او الرکوع او السجود فیها فساله فقال لا فقال والله ما رأیته
یصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذی یصومه البر والفاجر قال فاساله یا رسول الله هل رآنی قط افطرت فیه او نقصت من حقه شیئا فساله عنه فقال لا فقال والله ما رأیته یعطی
سائلا ولا مسکینا قط ولا رأیته ینفق شیئا من ماله فی سبیل الله الا هذه الزکوة التی یؤدیها البر والفاجر قال فاساله هل رآنی نقصت منها او ماکست فیها طالبها الذی یسالها
فساله فقال لا فقال صلی الله علیه وسلم للرجل قم فلعله خیر منک

بیان العلاج الذی به یمنع اللسان عن الغیبة * اعلم ان مساوی الاخلاق کلها انما تعالج
بمعجون العلم والعمل وانما علاج کل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج کف اللسان عن الغیبة علی وجهین احدهما علی الجملة والآخر علی التفصیل اما علی الجملة
فهو ان یعلم تعرضه لسخط الله تعالی بغیبته بهذه الاخبار التی رویناها وان یعلم انها تحبط حسناته یوم القیامة فانها تنقل حسناته فی القیامة الی من اغتابه
بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تکن له حسنات نقل الیه من سیئات خصمه وهو مع ذلک متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده باکل المیتة بل العبد یدخل النار
بان تترجح کفة سیئاته علی کفة حسناته وربما تنقل الیه سیئة واحدة ممن اغتابه فیحصل بها الرجحان ویدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان تنقص من ثواب اعماله وذلک بعد المخاصمة
والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلی الله علیه وعلی آله وسلم ما النار فی الیبس باسرع من الغیبة فی حسنات العبد وروی ان رجلا قال للحسن بلغنی انک تغتابنی فقال
ما بلغ من قدرک عندی انی احکمک فی حسناتی فمهما آمن العبد بما ورد من الاخبار فی الغیبة لم یطلق لسانه بها خوفا من ذلک وینفعه ایضا ان یتدبر فی نفسه
فان وجد فیها عیبا اشتغل بعیب نفسه وذکر قوله صلی الله علیه وسلم طوبی لمن شغله عیبه عن عیوب الناس ومهما وجد عیبا فینبغی ان یستحیی من ان یترک ذم نفسه ویذم
غیره بل ینبغی ان یتحقق ان عجز غیره عن نفسه فی التنزه عن ذلک العیب کعجزه وهذا ان کان ذلک عیبا یتعلق بفعله واختیاره وان کان امرا خلقیا فالذم له ذم للخالق
فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحکیم یا قبیح الوجه قال ما کان خلق وجهی الی فاحسنه واذا لم یجد العبد عیبا فی نفسه فلیشکر الله تعالی ولا یلوثن
نفسه باعظم العیوب فان ثلب الناس واکل لحم المیتة من اعظم العیوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بریء من کل عیب جهل بنفسه وهو من اعظم العیوب
وینفعه ان یعلم ان تألم غیره بغیبته کتألمه بغیبة غیره له فاذا کان لا یرضی لنفسه ان یغتاب فینبغی ان لا یرضی لغیره ما لا یرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية

اما التفصيلي فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب * اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول انى اذا امضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اى الحور شاء وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق * واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة * واما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت المخلوقين وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان * واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز يردى نفسه من قلة الجبل فهي ايضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك * واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا * واما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته ولا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل شعر

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

* واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلوة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك فرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسليطه على الانتقام منك * واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة * واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت ستر اخيك بالتعجب فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة *

بيان تحريم الغيبة بالقلب

* اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بسوء الظن فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس فان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بها ومجها وما شربها او حمل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهد

اوبينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رايته منه
يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان عليه فينفر عنه نفورا ما و
يستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاهتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج
فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل بموجبه
والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق
ناظر بغرور الشيطان وظلمته واما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذا ظننت به
الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق
التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه
ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان امره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة
ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك
من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم
فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة
ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر
اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك
نقصان في دينك وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته
واجر الاعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا
فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو
كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة + اعلم ان المرخص في
ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور + الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة
واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى
الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال عليه السلام لي الواجد يحل عقوبته وعرضه + الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد
العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء
ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الاية وتاب ولم ير ذلك عمر ممن ابلغه غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما
اباح هذا القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما + الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجتي او اخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض
بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى
الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء + الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته وفسقه
فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث
ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك
ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علمه وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة
له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح
بعيبه فله ان يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اترغبون عن ذكر الفاجر بما فيه اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون
ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه + الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول
روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه

او علم بعد ان قد صار مشهوراً به نعم ان وجد عنه معدلاً وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولاً عن اسم النقص
السادس ان يكون متجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من ان يذكر
له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر
رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق
المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم
يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو اغتابه بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عند الحجاج فقال
ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غداً كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج **بيان** كفارة
الغيبة + اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي ان
يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية اخرى وقال
الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له
وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال ان تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت
وظلمتك واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام
ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض
او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته
وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذاً لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائباً او ميتاً
فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب لكنه مستحب وسبيل المعتذر
ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض
السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابداً فان
قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالاً وما قاله ابن
سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من
بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه
اني لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا
يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى
الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا فقال ان الله تعالى يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي
من حرمك وروي عن الحسن ان رجلاً قال له ان فلاناً قد اغتابك فبعث اليه رطباً على طبق وقال بلغني انك اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافئك عليها
فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام + **الآفة السادسة عشر النميمة** + قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله
بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطاً من قوله عز وجل عتل بعد ذلك
زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة وقيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئاً قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات و
القتات هو النمام وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للبرآء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اشاع على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال ابو الدرداء قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله ان يذيبه بها يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوء مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لا يفي به وروى كعب الاحبار ان بني اسرائيل اصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو دلني عليه حتى اخرجه من بيننا قال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال له الحكيم البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم

بيان حد النميمة وما يجب في ردها + اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما راه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل في حقك كذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة + الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر + الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى + الرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم + الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا + السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا + وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فاخبره بخبر عن بعض اصدقائه فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيت بثلاث جنايات بغضت اخي الي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله بان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وعلى اله وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل القاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لا اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال + وذكر السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا

في أمة خسفا وفي الامانة تضييعا وفي الاعراض قطعا وانتهاكا كان اعلى مراتب البغي النميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين
عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل
زياد على الرجل وقال شعر فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم * فانت من الامر الذي كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم * وقال
رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني
عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها
على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان
لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك
وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية
على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك
وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما
ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج
ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء اهل المرأة
فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الآفة السابعة عشر * كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد
منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له
لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء
بحديث وفي لفظ آخر يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الامانة
والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون
والمستكبرون والذين يكنزون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان
وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة
وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر رضي الله عنه ايموت رجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اؤمن منها احدا بعدك فان قلت بماذا
يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين ولا منافقا فان الواحد قد يصادق
متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام
كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما و
لكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته
وكذلك اذا اثنى على احدهما واذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي
عدوه وقيل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه الى ذلك
فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر
جائز قال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل الان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس
الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في
آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر
فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

الآفة الثامنة عشر * المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا

كلها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح **فاما المادح** فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح **واما الممدوح فيضره من وجهين** احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال قد سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بكونه سيد ولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان** ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتامل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشر** في الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء والفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام قال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلعم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن

بعصيهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم عند ذلك تعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية المتلاعنين الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سال ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك اليه كتابا رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه اهي قديمة ام حديثة وكذلك سائر صفات الله تعالى والله تعالى اعلم تم كتاب آفات اللسان بحمد الله وعونه

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون

سلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون + وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون + ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون +
وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدّعون + وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون + وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون + فقال ما
ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون + فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون + والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه المتقون
وعلى آله واصحابه الائمة المهديون + والسادة المرضيون + صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون + ويحظى ببركتها الاولون والآخرون +
وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة + التي تطلع على الافئدة + وانها لمستكنة في طي الفؤاد + استكنان الجمر
تحت الرماد + ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد + كاستخراج الحجر النار من الحديد + وقد انكشف للناظرين بنور اليقين + ان الانسان ينزع منه عرق
من الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين + فان شأن الطين السكون والوقار + وشأن
النار التلظي والاستعار + والحركة والاضطراب + ومن نتائج الغضب الحقد والحسد + وبهما هلك من هلك وفسد من فسد + ومغيضهما مضغة اذا صلحت
صلح الجسد + واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه + ليحذر ذلك ويتقيه + ويميطه عن
القلب ان كان وينفيه + ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه + فان من لا يعرف الشر يقع فيه + ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه + ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع
الشر ويقصيه + ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله
بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار
والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب
في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في
نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق **بيان ذم الغضب** + قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انزل عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال
يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلله لعلي اعقله فقال لا تغضب
فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن
مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال
سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه
الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال
هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل اي شيء اشد قال
غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب **الآثار** + قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين انه
لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة و
اياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان
ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما
اصنع بك أليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال اني الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع
فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما اريد ان اسألك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع [illegible] اعون لك عليهم
[illegible] ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة [illegible] قلبه واذا
غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر [illegible]
[illegible] الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه [illegible]
اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم [illegible]
النفسه قال اذا لا اذل للشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب [illegible] الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زمانا طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من اطاع شهوته وغضبه قاده الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب + اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه + اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب + واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما صد عن غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به من القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال + اما التفريط ففقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه اصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب + واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا تبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته + واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبه واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى او انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا

وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً اذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد
سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان فى حال غضبه قبح صورته ليسكن غضبه حياء
من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولاً ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانياً فتغير
الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره فى الجسد واما اثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذى يستحيى منه ذو العقول ويستحيى منه قائله
عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه
المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش
المتحير وربما يسقط صريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلاً على
الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلاً وربما
رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على
افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض
للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضاً مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله
عليه وعلى آله وسلم ان سعداً لغيور وانا اغير من سعد والله اغير منى وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تساهل الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك
قيل كل امة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير
امتى احداؤها يعنى فى الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة
حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفى
حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور
اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال
غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغى ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعرة واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغى ان يأتى بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب
ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير **بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا** اعلم انه ظن ظانون انه يتصور
محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلاً لا يقبل العلاج هذا رأى من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما
لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقى الانسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شئ و
يخالفه آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا
ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام + الاول ما هو ضرورة فى حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد
وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذى يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التى هى مسكنه او اريق ماؤه الذى هو لعطشه فهذه ضرورات
لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها + القسم الثانى ما ليس ضرورياً لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة
بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى النفس فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنياً عنهما فى القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك
الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيراً بامر الدنيا فيزهد فى الزيادة
على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى كالجاه والصيت والتقدم
فى المجالس والمباهاة فى العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالى ولو جلس
فى صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هى التى اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات
والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابداً جهده فى ان يزيد فى حاجاته وفى
شهواته وهو لا يدرى انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور

واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري
القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات
الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوسل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب
الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق
الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها **اما القسم الاول** فليست الرياضة فيه
لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف
الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه
حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق
شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه **واما القسم الثاني**
فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر
يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب
اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان
قلت الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من
ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه
فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح
شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب عنه بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان
يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى ان الخيرة
فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات
الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر
اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة عليه وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول
الله اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضاء فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب
لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت
وما لك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر
وقال علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب
على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا
يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق
القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه
مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها
فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه
حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى النقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما
عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا
فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في
قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب
فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير
محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب

ذم الدنيا ومن اخرج حب المرأة عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون فنسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شيء قدير والحمد لله وحده **بيان الاسباب المهيجة للغضب** + قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلابد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا في الفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي اصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء + وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذيل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه ليغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل فيهم **بيان علاج الغضب بعد هيجانه** + ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل + اما العلم فهو ستة امور + الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه + الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه + الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب ليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون حينئذ مثابا عليه + الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند الغضب بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادئ التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم

بتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقى معه مسكة من عقل + الخامس ان يتفكر فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولابد
وان يكون له سبب مثل قول الشيطان لك ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى عين الناس فيقول لنفسه ما اعجبك
تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزى يوم القيامة ولا افتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغرى فى اعين الناس ولا تحذرين
من ان تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغى ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد
من ذله لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودى يوم القيامة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغى ان
يقرره على قلبه + السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله ويوشك ان يكون
غضب الله عليه اعظم من غضبه + واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان يقال عند
الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى واجرنى من مضلات
الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التى منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك
واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد فى القلب
الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان
النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفى رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق
من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب
جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء
من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب وروى عن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب
من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى ابى وليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض
تحتك ثم عظم خالقهما وروى ان اباذر قال لرجل يا ابن الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر بلغنى انك اليوم عيرت
اخاك بامه فقال نعم فانطلق ابوذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا اباذر ارفع راسك
فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع
وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطنى هذه وقال
للثانى اذا سكن بعض غضبى فاعطنى هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبى فاعطنى هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها مالك وهذا الغضب انك
لست باله انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء فاعطى الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بالحق فانهم لا يصلحهم الا ذلك اى لا تعطل الحدود + وغضب المهدى على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا
سبيله + **فضيلة كظم الغيظ** + قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كف غضبه كف الله
عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند
القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وعلى آله
وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها
عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من اى الحور شاء **الآثار**
قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء
وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وابو خزيمة اليربوعى
والفضيل ابن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ما تقضى بالعدل
ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين
فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه

غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك ـ

فضيلة الحلمـ اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعوّد ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقة التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني به الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم كان اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء ابن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى العلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا اشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما او خلقتان جبلت عليهما فقال بل خلقتان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف التقي ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الآثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك واذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اساءت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال بعضهم شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم

انه سبه رجل فوجه اليه بخميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة فى امر وانى اريد ان اتركه فيقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل ابن احمد كان يقال من اساء فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف ابن قيس لست بحليم ولكننى اتحلم وقال وهب ابن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنعه ومن لا يسأل الله يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك ابن دينار بلغنى انك ذكرتنى بسوء قال انت اذا اكرم على من نفسى انى اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتى وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لا معى ومر المسيح ابن مريم عليه الصلوة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق اشعار

سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب + وان كثرت منه على الجرائم + وما الناس الا واحد من ثلاثة + شريف ومشروف ومثل مقاوم + فاما الذى فوقى فاعرف قدره + واتبع فيه الحق والحق لازم + واما الذى دونى فان قال صنت عن + اجابته عرضى وان لام لائم + واما الذى مثلى فان زل او هفا + تفضلت ان الفضل بالخير حاكم +

بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام + اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى انما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه واما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بنى هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بنى امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كانهم حمقى فى ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما احقرك فى عينى بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى ان يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضى الله عنها ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلتنى اليك ازواجك يسألنك العدل فى ابنة ابى قحافة والنبى صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبى هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهى كانت تسامينى فى الحب فجاءت فقالت بنت ابى بكر وبنت ابى بكر فما زالت تذكرنى وانا ساكتة انتظران يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب فاذن لى فسببتها حتى جف لسانى فقال النبى صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابى بكر يعنى انك لا تقاومينها فى الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبى صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدى فهذا القدر هو الذى اباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطئ الوقود بطئ الخمود وبعضهم بطئ الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطئ الخمود وهذا شرهم وفى الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضاء فهذه بتلك وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب

فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب لانه يكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه ☆ ورأى عمر رضي الله عنه سكران فاراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولما احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك ☆ **القول** في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ☆ اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور ☆ الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه ان شاء الله تعالى ☆ الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن وتشمت بما اصابه من البلاء ☆ الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك ☆ الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له ☆ الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ☆ السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه ☆ السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ☆ الثامن ان تمنعه حقه من قضاء دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلاثة احوال عند القدرة ☆ احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل ☆ الثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل ☆ الثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة** العفو والاحسان ☆ اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ☆ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان يأخذ له بمظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره
على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله اجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين ما شاء واسكن حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله
احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او احداهن **الآثار** قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان
وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة به فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا
قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي
خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت
استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه
من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء
فليقم فيقوم اهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتي النعمان بن المنذر برجلين قد اذنب احدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر
اذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال **شعر** تعفو الملوك عن العظيم ÷ من الذنوب بفضلها ÷ ولقد تعاقب في اليسير ÷ وليس ذاك لجهلها ÷ الا ليعرف
حلمها ÷ ويخاف شدة نكلها ÷ وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر قال فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله
فقلت في نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله
عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن
فقلت والله لسمعته منه فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل
على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارأيت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق
ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب
الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير
المؤمنين قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروي ان سارقا
دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع
متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق
الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال
الفضيل ما رأيت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي
فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا
وهو على البصرة امير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته
من بيعهم اياه وطرحهم في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم
ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو
عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى
ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا
من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارأيت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم
قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة
وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان
الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون

سبب شدة الحرص واستيلائه يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب
وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي
حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة
دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فرفق ولان رفق الله به يوم القيامة وقال
صلى الله عليه وسلم اتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجلة
من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او
ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عائشة
رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم
ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الرعية ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا
انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس شيئا ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق
العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه
والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم
الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك
وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه
والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل **شعر** ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر
كوضع السيف في موضع الندى * فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة اميل كانت الحاجة
الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف
فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروي عن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معاوية
اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان
العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة
صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة
شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال
واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل
عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول** في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته *

بيان ذم الحسد * اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا
يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه
وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال
فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبعه
عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث
ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث
وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف

عملك فلم ار تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في
نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث لا ينجو منهن احد الظن و
الطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاثة لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه
الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد
بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد
ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد
حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى
راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد
الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي
التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون فيقتتلون وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم استعينوا على
قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة
واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فابى ان يسجد له
فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما هو قال
اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه
الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى
آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآيات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن
باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك
ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند
الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه
اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان
الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب
وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك
ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث
به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي انك
تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء
اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان
من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك
فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد
نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل **شعر** كل العداوة قد ترجى اماتتها + الا عداوة من عاداك من حسد + وقال بعض الحكماء الحسد جرح
لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد
اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد
لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال
عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان** حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه + اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك

فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد يسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم تغمك نعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر تعالى ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضاء ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشفى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول

تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً
وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه
ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك
شيئاً فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريداً للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها
فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه واقاربه يحب مساواتهم
ويكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى
ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلاً بل هو حرام سواء
كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد
واحكامه * واما مراتبه فاربع **الاولى** ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث **الثانية** ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في
تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه
فقد النعمة لا تنعم غيره بها **الثالثة** ان لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما **الرابعة**
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة
فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم **بيان** اسباب الحسد والمنافسة * اما المنافسة
فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امراً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها
وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة
وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى
انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره
وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب
كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون
يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا
بد من شرح هذه الاسباب * **السبب الاول** العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه في غرض
بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي منه التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان
يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها
لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة
فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انساناً ثم يستوي عنده مسرته
ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي
صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التقاتل والتنازع واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه **السبب**
الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علماً او مالاً خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح
نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بالترفع عليه **السبب**
الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره
ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد ان كان متكبراً عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر
الكفار لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيماً وقال تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم

ولا نفقة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان
يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا
انزل علينا الملائكة وقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين
على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على
مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين
لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد
الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين
اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه بنفسه من غير توصل به الى مقصود
وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر
في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او
صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات
مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة
وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم
السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد
من عباد الله تعالى فيما انعم الله به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو
ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل
بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في
الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في
الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في
شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر
المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها **بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم
والاقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه + اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب
فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه و
ابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف
جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مدرسة
او مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد
العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة
ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف
فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز
المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها
وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم
بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين
فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان

ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت سماواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضاً لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضاً فيما عند الله تعالى لان اجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على البعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر ونقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بموانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذاً لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضاً فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس لا يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلاً فعليك ان كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً ان تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضاً فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل سافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب + اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقاً ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضرراً عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته الذي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذا جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو انك تتألم بحسدك في الدنيا وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الاعداء لك وتشتهيه لاعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك

فتنغص عليك الحال بحسدك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا
ان تحذر عن الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل
ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود
في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل معلوم قدره الله سبحانه فلا
حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها
حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن
على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا
لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على احد من الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان
الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم اذ ما يريده المحسود
لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما يريد ان يسلب نعمة
الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة
فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد
مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك
لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك بذلك تهدي اليه
حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك
للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم
وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعاديك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك
ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حيوتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

اشعار لا مات اعداؤك بل خلدوا ✦ حتى يروا فيك الذي يكمد ✦ لا زلت محسودا على نعمة ✦ فانما الكامل من يحسد ✦ ففرح عدوك بغمك وحسدك

اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه
عدوك فاذن اذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة
وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمال ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى
ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف
ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب
لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما
لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله و
رسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله
قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي و
يحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع
ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك
ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في
دين الله تعالى وينكشف خطأه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق
به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد و
البغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدخل ربما البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك

على عدوك بل على نفسك بل لو كشفت بحالك في يقظة ومنام لرأيت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي اشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت فلعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو على العجز او على النفاق او الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفا كانت او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل مرغوبها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك تريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في موضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك الى اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما

من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال* احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه* الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا* الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك لكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها* وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها* حتى نظروا في شواهدها وآياتها* ووزنوا بحسناتها سيئاتها* فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها* ولا يفي مرجوها بمخوفها* ولا يسلم طلوعها من كسوفها* ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها* ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها* ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها* واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها* ان احسنت ساعة اساءت سنة* وان اساءت مرة جعلتها سنة* فدوائر اقبالها على التقارب دائرة* وتجارة بنيها خاسرة بائرة* وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة* ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة* فكل مغرور بها الى الذل مصيره* وكل متكبر بها الى التحسر مسيره* شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها* ومن خدمها فاتته* ومن اعرض عنها واتته* لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات* ولا ينفك سرورها عن المنغصات* سلامتها تعقب السقم* وشبابها يسوق الى الهرم* ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم* فهي غدارة مكارة* خداعة فرارة* لا تزال تتزين لطلابها* حتى اذا صاروا من احبابها* كشرت لهم عن انيابها* وشوشت عليهم مناظم اسبابها* وكشفت لهم عن مكنون عجائبها* فاذاقتهم قواتل سمامها* ورشقتهم بصوائب سهامها* بينما اصحابها منها في سرور وانعام* اذ ولت عنهم كأنها اضغاث احلام* ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد* ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد* ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس* جعلته حصيدا كأن لم يغن بالامس* تمني اصحابها سرورا* وتعدهم غرورا* حتى يأملون كثيرا* ويبنون قصورا* فتصبح قصورهم قبورا* وجمعهم بورا* وسعيهم هباء منثورا* ودعاؤهم ثبورا* وكان امر الله قدرا مقدورا* والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا* وعلى من كان من اهله واصحابه في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا* وسلم تسليما كثيرا اما بعد

فان الدنيا عدوة لله ولاولياء الله ولاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها* واما عداوتها لاولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها* واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها* فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها* فخذلتهم احوج ما كانوا اليها* فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد* فهم على فراقها يتحسرون* ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون

بل ﴿قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ ﴿اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ واذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسالته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه افضل الصلوة والسلام ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان عصي الله فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس اناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل كاملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم

حبيبك قال ان لا تدع لاحد ولا يدوم لك احد وان يحزنك صاحبك في شيء عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لاشيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروي في اخبار آدم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه أعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي ان جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها امله اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عماد بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرح بها واذا ادبرت حزن وبكى عليها قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها

المكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه
حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا
علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم
الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا
ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي
لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم
مالكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الآخرة ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها
تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتستبينون صواب الرأي في دنياكم
وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على
السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لارى الله
قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت
مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد
اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين
كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل شعر ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا + وما اراهم رضوا في العيش بالدون + فاستغن
بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين + وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك الدنيا ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي
اشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه
مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا **الآثار** قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة
مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها
وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا رحمه الله
من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن
سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في
هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء
من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وصم عن الدنيا و
افطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية
ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل **اشعار** ومن يحمد الدنيا لعيش يسره + فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة + وان اقبلت كانت كثيرا همومها + وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن
اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي
احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفيان اما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني
من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا
لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه
ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق

من جاوته شيئا نبعي في طلبه فيا خذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف
وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره
الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل **شعر** وما المال والاهلون
الا ودیعة ✦ ولا بد يوما ان ترد الودائع ✦ وزارت رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم
ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال **قطعة** نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ✦ فلا ديننا يبقى ولا
ما نرقع ✦ فطوبى لعبد آثر الله ربه ✦ وجاد بدنياه لما يتوقع ✦ وقيل ايضا **قطعة** ارى طالب الدنيا وان طال عمره ✦ ونال من الدنيا
سرورا وانعما ✦ كبان بنى بنيانه فاقامه ✦ فلما استوى ما قد بناه تهدما ✦ وقيل ايضا في ذلك **قطعة** هب الدنيا تساق اليك عفوا ✦ اليس
مصير ذاك الى انتقال ✦ وما دنياك الا مثل فيء ✦ اظلك ثم آذن بالزوال ✦ وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع
آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم
وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع قال بعضهم
الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل **قطعة** يا خاطب الدنيا الى نفسها ✦ تنح عن خطبتها تسلم ✦ ان التي
تخطب غدارة ✦ قريبة العرس من المأتم ✦ وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفي ذلك قيل **شعر**
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ✦ له عن عدو في ثياب صديق ✦ وقيل ايضا **قطعة** يا راقد الليل مسرورا باوله ✦ ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ✦ افنى القرون التي كانت
منعمة ✦ كر الجديدين اقبالا وادبارا ✦ يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ✦ يمسي ويصبح في دنياه سفارا ✦ هلا تركت من الدنيا معانقة ✦ حتى تعانق في الفردوس
ابكارا ✦ ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ✦ فينبغي لك ان لا تأمن النارا ✦ وقال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتت
ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانما اغدو عليهم
واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا
الدنيا قال وما اصف لكم من دار من صح فيها ما امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وقيل
ذلك مرة اخرى فقال اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا
وقال ابو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة
وهذا تشديد عظيم ونرجوان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة تجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار
بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا
والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون
اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا او ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم
فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب عليها
في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة
بحبل فسلم وسأله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال
سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب
قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تتباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص
آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلعم يزهد فيه منكم
والله ما مر برسول الله صلعم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو اعلم
بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين
ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب به وان اخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته
في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك

بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل م قال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف
يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية
رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك
فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة
لي عليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر
من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الصق الله اليه شيئا يسوءك وقال الحسن لا تخرج
نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال
انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا
على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل
عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنأ منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية
ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارأيت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله
غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة
عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة
الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي
تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب
في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان
من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا
من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال
لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها
وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار
مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع
الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك واقصر من املك وقال
ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام
والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة
فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ رحمه الله العقلاء ثلاثة
من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله
فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد
فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رمادا يعني الحرص ومن اقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب
وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة
واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك
وهو دم حيوان * **بيان** * المواعظ في ذم الدنيا وصفتها * قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا
الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها
عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها

وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به بين احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذا ضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذا بكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا ✤ وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته ✤ ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلائي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على الارض اغنى مني قال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان قدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة ✤ وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم

الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها و اجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنهم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد + وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه واايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب + وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور + وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل + وقال علي كرم الله وجهه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وانتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا ولم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم + **بيان** صفة الدنيا بالامثلة + اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله انشد وقال **شعر** احلام نوم او كظل زائل + ان اللبيب بمثلها لا يخدع + وكان الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول **شعر** يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها + ان اغترارا بظل زائل حمق + وكان يرى انه من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول **شعر** الا انما الدنيا كظل بنيته + ولا بد يوما ان ظلك زائل + وكذلك قيل **شعر** وان امرءا دنياه اكبر همه + لمستمسك منها بحبل غرور +

مثال آخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلعم الدنيا حلم
واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم ✤ **مثال آخر** الدنيا في عداوتها
لاهلها واهلاكها بنيها ✤ اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم
وقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك
ام كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد
ولا يكونون منك على حذر ✤ **مثال آخر** الدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها ✤ اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع
الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها
قال العلاء بن زياد رايت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم
اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت وما تعرفني قلت لا ادري من انت قالت انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت ان احببت ان تعاذ من شري
فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي
اقبلت الي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل ابن عياض قال ابن عباس
يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله
من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف بها في جهنم فتنادي اي
رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها
من كل زينة من الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس واذا هي اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء
زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا ✤ **مثال آخر** للدنيا وعبور الانسان بها ✤
اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة
بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر
بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما لي وللدنيا وانما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها
ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه
السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل
الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل
عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان ✤ **مثال آخر** للدنيا في لين موردها
وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل الدنيا تبدو لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض في الدنيا سهل و
الخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما
يصحبك منها وضع عنك همومها بما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام ✤
مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل يستطيع الذي
يمشي في الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك
مكيدة من الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة
الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من
شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها
كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب
ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل

كل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله **مثال اخر** لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع **مثال اخر**
لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله
مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد
عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما و
اكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت اشد
بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه
عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك
ابن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى م يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال
فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج
ابن ادم وان قزحه وملحه الى م يصير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه
وملحه وقال الحسن قد رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى
رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسألك واستحيي قال فلا تستحيي واسأل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له
انظر الى ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم
وسمنهم **مثال اخر** في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع اليه **مثال اخر** الدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وحسرتهم العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا مثلهم في
غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها
فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم
توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها
وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات
السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها
جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله ضيقا وصار ثقيلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه
وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك
الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك
ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لو اراده
فلما بلغه نداء اهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة
فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة واما
من وصل الى المركب بثقل ما اخذ من الازهار والاحجار المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه
فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه موذية له بنتنها ووحشتها فلم
يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا
ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل
الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم
انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا
[illegible] رحمه الله عز وجل **مثال اخر** [illegible] الخلق [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم قال [illegible] مثل الدنيا

مثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهرانى المفازة ولا زاد ولا حمولة
فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل فى حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم
قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال على م انتم فقالوا على ما ترى فقال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم
ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا
قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة
وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم فى اول حديثه فوالله ليصدقنكم فى اخره فراح فيمن اتبعه
وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من بين اسير وقتيل + **مثال اخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من
الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين
ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن
كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين
لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعوارى ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه
امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه +

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هى وما الذى ينبغى ان يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا
المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هى فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الدانى
منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة فى عاجل الحال قبل
الوفاة فهى الدنيا فى حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام + **القسم الاول** ما يصحبك فى
الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت
ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم و
المطعم والمنكح فى لذته لانه اشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل
قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من
حيث انه يحول بينى وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلوة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ
عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبب الى من دنياكم
ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من
الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا فى هذا الكتاب لا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه
ليست من الدنيا + **القسم الثانى** وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم
بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة
وفيما يعد فضولا او فى محل الحاجة نظر طويل اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه
عمر من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك فى بناء فارس والروم ما تكتفى به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابى هذا
فقد سيرتك الى دمشق انت واهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه + **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ
فى العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل الى
العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل
لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا
ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعنى طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب و
طهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه [illegible]

الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت ÷ اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين
عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت
الصدقة تدفع عنه الحديث ÷ واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل
عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد
وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا
سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت
عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل شعر ما حال من كان له واحد ÷ غيب عنه ذلك الواحد ÷ وليس الموت عدما انما هو فراق
لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن
شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى
اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة
وان اخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض
صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان
طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حلالها
حساب وحرامها عذاب وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى
في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب فقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك
وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء
لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او
بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم
الذي تسأل عنه اشارة الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله
عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما اعان
على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه
على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير
فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى
الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم
الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة
عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلاثة
اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى
ومنها ما صورته لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله
واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة
حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ
النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان
كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف
ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر

في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة
القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها
بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب
منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما
امكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه
على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد
العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى وكلما اصاب حشفة خبأها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته
من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك
لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت
الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه
رحمه الله ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس من كان من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا
الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر
القرني فوصفه له فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم
قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب
قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته
بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي
فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي
اياه ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله
الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك
قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا
ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه
كما بلغك ولست احب ان افتح على نفسي هذا الباب ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن
اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه
ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن
ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب
اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كأن قد كان ثم صلى
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي
نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر
فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه
في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا
فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله

وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي لاني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك ولا ترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي ففارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة للمعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك طريق العلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان متحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

بيان حقيقة الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور وقد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح وجميع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد والمحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج منها واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة لهذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال

هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل
والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من
غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة
لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة
وما يكتنفها من امر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من
صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير
صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات
تفتقر الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص
وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار
كل عامل على الخشب كيفما كان وبالحداد كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف
فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر
الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني
التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يستقل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت
ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد
كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس
وهو يفتقر الى حراثة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في
صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به بما معه من الآلات والاثاث والمنازل
تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل
المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا
تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل
افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد
ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي
لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا هلك ولو وكل
تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص احد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة
المساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة
ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان ينضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها
فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى
المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت
تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت وتصرف الغنائم
اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم
اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف
الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت
التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه
الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب
وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند

الذين هم اهل السلاح ثم لعدل الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين في الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع به واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار ربما يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل ما عنده للاخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابيار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيار ليترصد به ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم امور الناس في البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما يأكلان من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسمحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس

لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق وتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بائعه انه ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المتكلمون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الف نوع والفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشتغالات الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه ✤ فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امورهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ويكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت ✤ وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون ✤ وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس ✤ وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ✤ ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا شأن المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من اهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا

مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله اعلم تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط + وكاشف الضر بعد القنوط + الذي خلق الخلق + ووسع الرزق + وافاض على العالمين اصناف الاموال + وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال + ورددهم فيها بين العسر واليسر + والغنى والفقر + والطمع والياس + والثروة والافلاس + والعجز والاستطاعة + والحرص والقناعة + والبخل والجود + والفرح بالموجود + والاسف على المفقود + والايثار والانفاق + والتوسع والاملاق + والتبذير والتقتير + والرضاء بالقليل واستحقار الكثير + كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا + وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا + وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا + واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا + والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا + وطوى بشريعته اديانا ونحلا + وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا + وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف + لكن الاموال اعظم فتنها + واطم محنها + واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها + ثم اذا وجدت فلا سلامة منها + فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا + وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خسرا + وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات + وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات + وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات + التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين + من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين + وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر + **بيان** ذم المال وكراهيته + قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم وقال عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال تعالى الهاكم التكاثر + وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم هلك المكثرون الا من

قال بعض عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا
والوانها ويركبون فره الخيل والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين
على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرها ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه
ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول ابن آدم مالي
مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا
رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اخلاء ابن آدم
ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو اهله والذي
يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا
حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى ابي الدرداء رضي الله عنهما يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت
حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى
يدعو بالويل والثبور وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا
فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت
الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا + **الآثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء
واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر
لانه لا بد ان يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لم تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل
الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته
في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما
وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب
فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها
من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما
الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل **قطعة** اني وجدت فلا تظنوا غيره + ان التورع عند هذا الدرهم + فاذا قدرت عليه
ثم تركته + فاعلم بان تقاك تقوى المسلم + وقيل ايضا **قطعة** لا يغرنك من المرء قميص رقعه + او ازار فوق عظم الساق منه رفعه + او جبين
لاح فيه اثر قد خلعه + أره الدرهم تعرف حبه او ورعه + ويروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته + فقال
يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه
فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا هو لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه وهو يتولى
الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره
لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف
درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم + اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به
وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال الله تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
لكم انهارا وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين الذم والمدح الا بان تعرف

حقيقة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه
ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان
المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس
وارباب البصائر سعادة الاخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم
الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن
الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة
فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هى
الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء
والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق [illegible] البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها
بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد [illegible] وجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة للمطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن
الذى هو ضرورة كمال النفس الذى هو خير ومن عرف فائدة الشئ وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع
وكان ما حصل له الغرض محمودا فى حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة
عن سعادة الاخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فمن اخذ من
الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها
والآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء عليهم السلام من شره حتى قال نبينا عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل
قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد
الالهية فى شئ من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عابدا لغير الله فهو
عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلى
يوجب الخلود فى النار نعوذ بالله من الجميع

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله
سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر من خيره

اما الفوائد فهى تنقسم الى دنيوية ودينية

اما الدنيوية فلا حاجة
الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها فى ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه
على نفسه اما فى عبادة او فى الاستعانة على عبادة اما فى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات
القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات
اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة
على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثانى** ما يصرفه الى
الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد
ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروءة فنعنى بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف فى ضيافة وهدية واعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى
صدقة بل الصدقة ما يسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء و
يلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة
فى الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها واما وقاية العرض فنعنى به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب
السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما وقى
به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة
والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التى يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه

ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث **الاولى** انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراآة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويتشعب عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالثة** وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلوة والسلام في المال ثلاث آفات ان يأخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه انه على ذلك قدير

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثرة او طول امله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب ان يكون له ثان ولو كان له الثاني لاحب ان يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم

ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال وكما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروى ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب قال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مومنا ونهى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل احدا ان يناوله اياه + **الآثار** وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل **اشعار**

العيش ساعات تمر + وخطوب ايام تكر + اقنع بعيشك ترضه + واترك هواك تعيش حر + فلرب حتف ساقه + ذهب وياقوت ودر +

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما شيء اعون على دفع الحزن فقال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل **اشعار**

ارفه ببال فتى امسى على ثقة + ان الذي قسم الارزاق يرزقه + فالعرض منه مصون لا يدنسه + والوجه منه جديد ليس يخلقه + ان القناعة من يحلل بساحتها + لم يلق في دهره شيئا يؤرقه +

وقد قيل ايضا **اشعار**

حتى متى انا في حل وترحال + وطول سعي وادبار واقبال + ونازح الدار لا انفك مغتربا + عن الاحبة لا يدرون ما حالي + بمشرق الارض طورا ثم مغربها + لا يخطر الموت من حرصي على بالي + ولو قنعت اتاني الرزق في دعة + ان القنوع الغنى لا كثرة المال +

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يستغنى من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل **قطعة**

اراك يزيدك الاثراء حرصا + على الدنيا كانك لا تموت + فهل لك غاية ان صرت يوما + اليها قلت حسبي قد رضيت +

وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك

ولا تصدقن بما لا يكون الا ان تحيي وذمي ودينتي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي دُرتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت
وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون قال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من
قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين
قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدني **قطعة** اذا سد باب عنك من دون حاجة + فدعه
لاخرى ينفتح لك بابها + فان قراب البطن يكفيك ملؤه + ويكفيك سوآت الامور اجتنابها + ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب + ركوب المعاصي يجتنبك عقابها +
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب
قال الطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة
فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله
عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان + وقال بعض الحكماء من عجيب
امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد
ابن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى ياتيها بالطحين واومأ بيده الى رحا اضراسه فسبحان القدير
الخبير + **بيان** علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة + اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع
ذلك خمسة امور + الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد عن نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد
نفسه الى ما لا بد له منه فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل
من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد
في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله
عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب وروي ان
رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن
السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله
ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور +
الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان
يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل
في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله
قيل **شعر** ومن ينفق الساعات في جمع ماله + مخافة فقر فالذي فعل الفقر + وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا من
الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بابن مسعود وهو
حزين فقال لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب
عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد وان
ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله في قلوب
المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث
ندري لم نعش وقال ابو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فلن اعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منهما
هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى فلا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة
المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر + الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق

عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لا يخلو من تعب وفى الطمع لا يخلو من ذل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس فيه الوبال والمآثم ويفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوات البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن اميره ✦ الرابع ان يكثر تامله فى تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الناس او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم فى الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين فى الملبس والخيل ففى اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الانبياء والاولياء ✦ الخامس ان يفهم ما فى جمع المال من الخطر كما ذكرنا فى آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه فى الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم وقال ابو ذر اوصانى خليلى صلوات الله عليه ان انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى اى فى الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره فى الدنيا ايام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء ✦ **بيان** ✦ فضيلة السخاء ✦ اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء عليهم السلام وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى اكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه واتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره [illegible] قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على بن ابى طالب [illegible] صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاءه فيه [illegible] عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء [illegible] قال صلى الله عليه وسلم [illegible] نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى

ان يغنيان

سلا فى بعض النسخ نفرة فانت بشان ملكوم بعضهم نقشة انت لم الفاظ فى المصابيح انتهى ١٢

سلا السفساف الردى من كل شىء والامر الحقير ١٢ ق

عليه السلام استكثروا من شيء لا تمسه النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار
الاسخياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عالم بخيل وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان
اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام ولكن دخلوها
بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم
المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى
عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس
تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار** قال علي
كرم الله وجهه اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد **قطعة** لا تبخلن
بدنيا وهي مقبلة + فليس ينقصها التبذير والسرف + وان تولت فاحرى ان تجود بها + فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف + وسأل معاوية الحسن بن
علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال + اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام
في الكراهية + واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن + واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل
ورفع رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك
فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه و
سئل بعض الاعراب فقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل
ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما
وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال
جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال اعون من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني
لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه اخرق في معيشته
يدخل الجنة بسماحته وروي ان الاحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل
شعر انت للمال اذا امسكته + فاذا انفقته فالمال لك + وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة
اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء
قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها صررا الى اخوانه وقال قد كنت اسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلوتي افابخل عليهم بالمال وقال
الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز
بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين
ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين **قطعة** ان الصنيعة لا تكون صنيعة + حتى يصاب بها طريق
المصنع + فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها + لله او لذوي القرابة او دع + فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب
الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا + **حكايات الاسخياء** + عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت
ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز
وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت + وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار
عبيد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبيد الله بشراء
فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه اموجود لنا هذا
كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم + وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم

عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بدّ لنا من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف
دينار وقد اعيى وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد * وعن احمد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع
رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو
الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه قد امرت لك بمائة الف درهم فان كانت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان
لم اكن قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير
اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة
المأمون اياي بالحديث احب اليّ من الجائزة وهي مائة الف درهم * وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لديّ
ومعرفتي بما يجب لك تكبر عليّ ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة
الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على
نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها
فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال
ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم * واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد
زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر
فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا
عن عبادة ربه وما بنا من التكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا * وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن
الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف
فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي
ابن ابي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل * وكان ابو مرثد احد الكرماء
فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع عليّ بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا
يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس * وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه
شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها
في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها **شعر** ايا جود معن ناج معنا بحاجتي * فما لي
الى معن سواك شفيع * فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما
كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج
فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار * وقال ابو الحسن المدائني
خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها
وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى
اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوه واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا
الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين
شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان
بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه فدعا بالعجوز
وقال لها يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة الف
شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنه فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا
بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال
لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف شاة واربعة آلاف دينار * وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو

وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال لصلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي
واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم
ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل
منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان السخي الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في
النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثجّ من نحر بعيره
فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل
منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري
بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان بن فلان وسماه وقدم رجل من قريش
في السفر مر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه
اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال ولكن
ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني ✦ واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان
الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون للدار فقال يا غلام ايتهم فاعلمهم ان المال والدار لهم جميعا وقيل بعث هارون الرشيد
الى مالك بن انس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هارون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت
من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم ✦ وحكي انه لم تجب عليه الزكوة مع ان
دخله كل يوم الف دينار وحكي ان امرأة سالت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئا من عسل فامر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون
هذا فقال انها سالت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا ✦ وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا و
قال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها
وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ ✦ وقال عبد
الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقالت هي من غيري احسن منها مني فقال عزمت عليك لاحدثتني بها فقال يا امير
المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت اليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط
يسألني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ✦ ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله
صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر سليمان اليه تمثل بهذا البيت فقال **شعر** اني سمعت مع الصباح مناديا ✦ يا من يعين على الفتى المعوان ✦ ثم قال
ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون
مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال فانكسرت
درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده ✦ وعن ابي اسحاق قال صليت الفجر في المسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة
ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين ✦ وقال
الشيخ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا
فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح له بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله
كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام فاخرج دينارا فكسره نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك
الى ان يفتح لك بشيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به فرايت [illegible] ذلك الشخص [illegible] فقال سمعت جميع ما قلت وليس
لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان [illegible] فيخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما
كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له احلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال
هذا مالكم وليس لرؤياي به حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى [illegible] الدنانير الى الرجل صاحب المولود فذكر له القصة قال
فاخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه [illegible] تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري
اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبره فاتاه فقال ائتوني بتذكرته

فاتى بها فنظر فيها فاذا فيها خط الشافعي فتبعوه الف درهم دين كتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غرضي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد الواعظ
الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من احفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في
الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا + وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشيء بلغني عنه انه
كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره
فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه **قطعة** يا لهف قلبي على مال اجود
به + على المقلين من اهل المروآت + ان اعتذاري الى من جاء يسألني + ما ليس عندي لمن احدى المصيبات + وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل
بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني + وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة
آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض
الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري
بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها
وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول **قطعة** ارى نفسي
تتوق الى امور + يقصر دون مبلغهن مالي + فنفسي لا تطاوعني ببخل + ومالي لا يبلغني فعالي + وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على
المأمون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا امير المؤمنين
منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى + وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد
ما يبكيك قال ابكي على الارض ان تأكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى + ودخل ابو تمام على ابراهيم ابن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده
عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول
قطعة ان حراما قبول مدحتنا + وترك ما نرتجي من الصفد + كما الدنانير والدراهم في البيع + حرام الا يدا بيد + فلما وصل البيتان الى
ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه **قطعة** اعجلتنا فاتاك عاجل برنا + قلا ولو
امهلتنا لم نقلل + فخذ القليل وكن كانك لم تقل + ونكون نحن كاننا لم نفعل + وروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون
الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك + وقالت سعدى بنت عوف
دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له ما لك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت
الخادم كم كان قال اربعمائة الف + وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذا الرحم ما سألني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني
بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن + وقيل بكى علي كرم الله
وجهه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني + واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء
بك قال علي اربعمائة درهم دين فوزن اربعمائة درهم واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى
احتاج الى مفاتحتي به فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم اجمعين + **بيان** ذم البخل + قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم
ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم
فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني
والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى
تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة
مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وعلى آله وعلى اصحابه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر
وقال صلعم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم

فقتلهما ثم امر بهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم
بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى
سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا
ولا كذابا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان يسألوني
بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين
فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في
مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد
اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة
وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من
الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار
الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلعم
واي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على
ذلك لنزنه بالبخل فقال عليه السلام واي داء ادوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد وقال ايضا
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم
يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك
صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون فقال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال
قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم
ام العرش قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة
من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة
لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار
ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون الآثار قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك
وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنتك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن
عبد العزيز اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء
ولكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه
في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو
الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى يأخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال
الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس

من الحي سخيا اعضاد الخشب عقودا وفي الدول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن
قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في
اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم
عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل
اذا اتاه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن
كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ
ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انك اذا
لبخيل ومدحت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب
ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك
قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في
سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك + **حكايات البخلاء** + قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه
وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله
للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت والله ولا اتقيا طباهجة ببيض + وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا
وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرا والزيتون وطور سينين فقال واين التين
قال هو تحت كسائك + ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال
له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى + ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه
عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد
قال بلى الذباب فقال سوأة لك انت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم
جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يضمنون منه ابرة ويسالونه اعرنا اياها لنخيط بها قميص يوسف الذي
قد من دبر ما فعل + ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل
له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه
الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك وآكل منه الوانا عينيه لونا واذنيه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه
لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق + وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال
ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان
دانق وقال اكره الاسراف + وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض
عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة
فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا
اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما + **بيان الايثار وفضله** + اعلم ان السخاء والبخل كل منهما
ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير
محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع
الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن لو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على
نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار
درجة في السخاء وقد اثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى
شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا

ولو شيئا لشبعنا ولكنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب
بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وامر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله
تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن
عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله
جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى فقال
يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من
محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته
فدخل الحائط كلب دنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك
كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان اشبع وهو جائع قال فما
انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات
فاعتق الغلام ووهبها له منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم
يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى
جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها
فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا
الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله
يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف
وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا
الطعام بحاله لم يأكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه
ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا
انا به وبه رمق فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي الي انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع
به آخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله
عليهم اجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه
واعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا
ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء
الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظام ورجعت الكلاب الى البلد
فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة
الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل ❊ **بيان** حد السخاء والبخل وحقيقتهما ❊ لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع
ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر
فعل من انسان فيختلف فيه فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال
ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك
فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل
من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد
بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين
يديه رغيف فحضر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية

فمن بخيل لا يستحسن الحقيقة الكلية الا كالحبة وما يقرب منها او يستصعب ما فوق ذلك الى ان يرتقي الى انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا مما يستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق الصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل + واما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة ويختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام وثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق واخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة او شيخ او شاب او عالم او جاهل او موسر او فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على

حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم
قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك
اجرا قالوا نعم قالت لم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما
السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما
يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسبون ان السخاء
في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل
مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن تغلب على قلبك حسن كمال
السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك + **بيان علاج البخل** + اعلم ان البخل سببه
حب المال ولحب المال سببان + احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله
اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد اقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه
فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة + السبب
الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال
كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت
الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم
عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل
برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب
في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة
فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر
في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من
ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان
كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله
به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل
من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لما
ذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بان يحصل له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف
بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الشهوة فينبغي ان يجيب الخاطر الاول
ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه + حكي ان ابا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه
الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق
الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق
المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء
فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد
ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب
بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينقطع عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض
كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب
الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك
ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض

البخل الغالب على قلبه مثال يعرفه والصفات يعالج بعضها ببعض كما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى ان تغلب احدهما الاخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه المت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك وحكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان انكسر او سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها فانها تأكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل احد به لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف **الاولى** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية** ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء في جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان تقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا تمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا

بالهيمنة فقيل شعر: هي دنيا كحية تنفث السم + وإن كانت المجسة لانت + وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال + بيان ذم الغنى ومدح الفقر + اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات فكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم + ثم قال الحارث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله + وبعد فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما تركه عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت

او قنطارين يا رسول الله قال بل شراكين قال يا اباذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلعم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما
ترك عبد الرحمن بن عوف فقد كذبت وكذب من قال فلو رددت عليه حجر ألقمتك حجرا + وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة
واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول اني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها
معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا +
وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا + ويحك ايها
المفتون فما احتجاجك بالمال بعد عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه ايضا بالجنة يوقف في عرصات القيامة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله
سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون
تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن
وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وسأصف لك
احوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا
حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة
آثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله أكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر
آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا
لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا
مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله
تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم
شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي
شيء فرحت اذ كانت لي برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بآل محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك
بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا
ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله أكذلك انت انك لبعيد التشبه بالقوم وسأصف لك احوالك ايها المفتون ضد
لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى
بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تأنف من فخرهم وانت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء
الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات
لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم
وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا انه من طلب الدنيا للتكاثر او للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث
بما حل بك من غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله للقائك
اكره وانت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من
النار مسيرة سنة وانت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك
وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم
قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى و
عساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك
من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخلوقين

مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين
مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العبيد اعلى عندك قدرا من
الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث بالاقذار تحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف
الاخيار والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد
استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل
ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن
بعض الصحابة رض انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة
فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانك
ان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في
دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من
الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان
ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال من اجترأ على الشبهات اوشك
ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا
تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان
كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف
دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي
من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم
خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك اين الحلال
فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه
مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن
بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلعم
انه قال من نوقش في الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل
قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في
شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اختلت في هذا
المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه
قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض
ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذا السؤال
التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا
الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها
وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال
بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك
وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في

زمرة المصطفى لا يحبس عليك للمسألة والحساب فياحسرة لامتردامعطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يدخل صعاليك
المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المومنين الجنة قبل اغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على الركب
فيقول لهم قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل
الاول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم
بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا ذات يوم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما معه احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب
فقال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون هذه
قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال وويحك
انت في انواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة
لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين
عن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في احوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت وبعد
فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك موثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض
للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت
نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل
في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر وانعم النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار
اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسألة وامن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدر عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان
رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر افضل + وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار
التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل
قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان
تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال
افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل
وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى بما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا
ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سادات المومنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على
ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الا يا اخي فمتى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة
والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور
ويحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الفضل والخير في الرضى بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا
باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال + اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا
مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في
دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك + وبعد فاين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم
دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد
نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته امين هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه

فيشهد لذلك جميع الاخبار التى اوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روى عن ابى امامة الباهلى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال يا ثعلبة اما لك فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله تعالى اما والذى نفسى بيده لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله ان يرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى عنها حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة وانما هى لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ارونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايى فانطلقا حتى اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمى فاخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى صنع السليمى فانزل الله تعالى فى ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله صلعم هذا عملك امرتك فلم تطعنى فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد خلافة عمر رضى الله عنه فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه انه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى انت وامى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة فقال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف براسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لست اقدر على طعام آكله فقد اجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سألت ربى لاطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل

هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادري ثم انتهيا الى
وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال
لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه
ثلاثة اثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال فانا الذي اخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه
السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى
يشتري لنا طعاما ناكله قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما
وآخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع
اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا
فاحذروها. وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا
تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض وارسل ذو القرنين الى
ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت اليك لتأتيني فابيت
فها انا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على حال لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا
شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال
ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا
من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان
نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما
كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك
من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد
احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ادري ومن هو قال هذا ملك
ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار
كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما
انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان
نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا
ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات
تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق. تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويتلوه كتاب ذم الجاه والرياء.

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب، المطلع على سرائر القلوب، المتجاوز عن كبائر الذنوب، العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب، البصير بسرائر النيات
وخفايا الطويات، الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى، وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا، فانه المتفرد بالملكوت والملك، فهو
اغنى الاغنياء عن الشرك، والصلوة والسلام على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك، وسلم تسليما كثيرا. **اما بعد** فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء
على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل
النفس وبواطن مكائدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها

وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله وبعبادته المرضية وانما حيوته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين * الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في المدح والذم فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق بلطفه للصواب بمنه وكرمه *

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت * اعلم اصلحك الله ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تاويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختياني والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليمان بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروى ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس *

بيان فضيلة الخمول * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه

الجنة وبريئه من الدنيا شيئاً وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا
النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله
ديناراً لم يعطه اياه ولو سأله درهماً لم يعطه اياه ولو سأل الله الجنة لاعطاها اياه ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانه
عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي
صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت
علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا
فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان
الله انت انت وتسألني ان اخصك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا
ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال
الفضيل بن عياض بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع
خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء
وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوماً في الدنيا قط الا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد
وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموماً عند الناس اذا كنت محموداً عند الله تعالى
فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل
فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها
من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى
فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

بيان ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان
الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعاً وقال عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم
في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضاً متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا
في زريبة غنم باكثر فساداً من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله
العفو والعافية بمنه وكرمه **بيان معنى الجاه وحقيقته** اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك
القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات
وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه
ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا
بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفاً من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال
عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالاً في نفسه بل يكفي ان يكون كمالاً عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالاً كمالاً ويذعن قلبه للموصوف به
انقياداً اضطرارياً بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال

يطلبها الطمع الا ارقاء العبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك
يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح
بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال
فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه
للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه
لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام
وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال
في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم
محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى اعلم. **بيان** سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة
اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي
ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانها اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا
ملبس وانما هي والحصى بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك
القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة
على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب اليه من المال ولملك
القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه. **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في
القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال
اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا
ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب. **الثاني** هو ان المال معرض للتوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة
ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر
عليها السارق ولا تتناولها ايدي النهاب والغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة
محروسة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من
اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله. **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمى ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة
فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له
ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد
ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه
والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال
واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح. فان قلت فالاشكال قائم في الجاه والمال جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب
الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم وكالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه
فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار
الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه
لا يطؤها قط ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت
في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه
الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي
في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون. فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان
وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع

الى الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر
هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى
بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير
سبب يزعجه عن الوطن او يزعجهم عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة
ظاهرة حتى كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله
تعالى اذ قال سبحانه ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى
صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول
شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال
من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو
كان معها شمس اخرى لكان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه
اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل
من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها
في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود
وهو الكمال فكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون
من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي
اومأ اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به
لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم
التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع
لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب
الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى
ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس
الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن
والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر
الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة
والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة و
الافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق
من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في
الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز متلذذ بكمال
العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان
اجساد وارواح اما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة
والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب
استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد
كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي

النفس على ما وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى الساعى اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهومان لا يشبعان الحديث فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان فى حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى

بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هى عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتم واصدق واوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما **المتغيرات** فمثالها العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا وتصورت ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كالعلم مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا فى الحال ولا يبقى كمالا فى القلب **والقسم الثانى** هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة فى معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته فى ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف فى الدنيا كما ان من معه سراج خفى فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له فى ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور فيبقى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا فى معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف ففيها ما لا فائدة له اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما فى القرآن من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد فى استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه

فى كتاب الصبر والشكر وفى كتاب التوحيد والتوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فالعلم والحرية يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا معنى له كمالا من جهة القدرة بالاضافة الى الحال هى وسيلة الى كمال العلم كسلامة الاطراف وقوة اليد للبطش والرجل للمشى والحواس للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات ونفى صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة فللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه اشار ابو الطيب بقوله شعر * ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر * الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقى اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

+ بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم +

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطانه ما يمنعه عن دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه باعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون له فى داره بيت ماء لانه مضطر اليه لحاجته وكان يود ان لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى

المرائي بالمال والعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت فطلبه المنزلة والجاه في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباحان ووجه منها محظور + اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما بالقول او بالمعاملة + واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه الصلوة والسلام فيما اخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه + والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق وكما لا يجوز ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال + بيان

السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه + اعلم ان لحب المدح والتلذذ القلب به اربعة اسباب +

السبب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح +

السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب اذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت فيه اعظم +

السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملاء فلاجرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس +

السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما يقوله ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في قوله كما اذا مدح بانه نسيب سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه لذة اصلا لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التلذذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة

عن سواء السبيل المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى ❊ **بيان علاج حب الجاه** ❊ اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه
صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم
وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة
الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق
فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم
فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس
هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب والى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له و
يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها
ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر
العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت
قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن و
كانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا
وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة
خير وابقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو
ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز
من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى
على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة
الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي
ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى
يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا
الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين
واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك
قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال
الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من اعين الناس وهذا في جوازه نظر
من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من
صورة التقصير لما روي ان بعضهم عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه
وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في
بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور
وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت
وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين
انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب
الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي
اكان له منزلة في قلوبهم ام لم تكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا
بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة

وقطع الطمع وليستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر فى احوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم فى ثواب الآخرة رضى الله عنهم اجمعين

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التى لاجلها يحب المدح ويكره الذم

اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهى اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى شعر اشد الغم عندى فى سرور ÷ تيقن عنه صاحبه انتقالا ÷ فلا ينبغى ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغى ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذى فى احشائه وما اطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك انت اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغى ان يغمك ذلك ولا تفرح به

واما السبب الثانى وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به

واما السبب الثالث وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفات المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال انت يا امير المؤمنين خير منى واعلم فغضب وقال انى لم آمرك ان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق وكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه والله الموفق للصواب برحمته

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما ان يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغى ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه فى عينك

ليثبت حرصه على الجاه فان كنت قد استحسنته وكان من الاسباب عادتك فلا تستعجز منه فاشتغل بطلب السعادة فلا تهلك اسبابها
بسبب حصته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وتركك ملوث بالعذرة وانت لا تدرى او دخلت عليه كذلك تخشى ان يحز رقبتك
لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوى
الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه واما قصد العدو والتعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه
عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به انت وتضرر هو به + الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت برئ منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك
ولا تشتغل بذمه بل تفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر
الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برئ عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت برئ
منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر
وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله
واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان
تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا ثنيته وشجوا
وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم احد ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال علمت اني ماجور بسببه وما نالني منه الا خير فلا ارضى ان يكون
هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها
ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة
ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا + بيان اختلاف
احوال الناس في المدح والذم + اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام المادح + الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب
من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الحالة الثانية ان يمتعض في الباطن على
الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة
الى ما قبله كمال + الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض
العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في
المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من
انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون
بمصيبة الذام وان لا تكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه
الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب اكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه
العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك
فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما
ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة
غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم
ان الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته
تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا + الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ
يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد
روى في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روى انه صلى الله عليه وسلم قال الويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا فقيل
يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا والبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة
الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام

فلو ظهر فيما قولنا طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية فاننا لا نتوي بها لانا لا نبعد ان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجته ونتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدح والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدح ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدتها ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

بيان ذم الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار

اما الآيات

فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله

واما الاخبار

فقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص ان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم قال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول لملائكته ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول الله عز وجل من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال المسيح عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم

لا يقبل عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله قال امر تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء باطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى فقالوا يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق خلقا هو اشد علي من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بأبي انت وامي يا رسول الله قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر اضر به بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة وزكوة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري كل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات والارض حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله [illegible] انت رسول الله وانا معاذ كيف النجاة [illegible] قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن [illegible] ولا تزك نفسك [illegible] عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس [illegible] وعندك آخر ولا تتطاول على الناس [illegible] خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار [illegible] قلت بأبي انت وامي يا رسول الله

قال كلا ... اللحم العظم قلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق شيئا من هذا قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله
عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث واما الآثار فيروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يطأطئ
رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده
فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل
اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء
لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد
بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن
احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رض رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني
فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر رض ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن
وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان
احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر
يا فاجر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال
عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى وهو رجل
سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى
انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال
الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار
للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف
ذاك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في
القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة
العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها
والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل
والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات
اهون من الرياء بالطاعات

القسم الاول الرياء في الدين بالبدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم
الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائي
بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور
فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين
ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال المسيح
عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ
الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن و
صفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها

الثاني الرياء بالهيئة والزي اما الهيئة فتشعيث
شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب
من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين
ومن ذلك لبس المرقعة والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار
فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة

والتطيب بين يديه [illegible] انه من اهل العلم والمراؤن بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد
فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا
نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة
اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة
البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية
الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون
القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو
كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض والقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح
قد رغبوا في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه والى ما فوقه وان كان مباحا خيفة
من المذمة واما اهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول
وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على
تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة + **الثالث** الرياء بالقول + ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل
الاستعمال في المحاورة واظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق
الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف
انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين
والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراآتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب
على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب + **الرابع** الرياء بالعمل + كمراآة المصلي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق
الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات
في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى
الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجددا
للخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان تخالف مشيته في
الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف
به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملاء لا لخوف من الله وحياء منه + واما اهل الدنيا فمراآتهم
بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة + **الخامس**
المراآة بالاصحاب والزائرين والمخالطين + كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل
الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي
يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراآته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من
الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤن وكلهم يطلبون بذلك الجاه
والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما
خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد
لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع
قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع
ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته
وتنجز الحوائج على يديه فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى

وغيره الاثم من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او
مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان
كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات ايضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه
السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار
الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة
حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب
الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه
فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان
في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراأة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة
بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اراد ان يخرج
يوما الى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه
اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو
سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر
دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا
الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه
لم يأنس بهم فاذا المراأة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا
انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراأة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات
كالصدقة والصلوة والصيام والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان
الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار
والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في
امر الدنيا حرام ايضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر
الثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا
اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام
من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد
بطاعة الله تعالى مراأة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب
اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف
بحسب ما به المراأة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم
غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي يعظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمين
بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظمه عنده باظهاره
من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وهذا غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون
من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك
قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن ان يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل تقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل

عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطلب [illegible] الدنيا من الناس فلا ينبغي أن تشك في أنه [illegible] الله في سخط الله من حيث التقرب إليه [illegible] جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلوته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت إنه لا أجر فيه أصلا

بيان درجات الرياء

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المرائى به والمرائى لأجله ونفس قصد الرياء

الركن الأول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى أو أغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعا الأولى وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء + الثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم + الثالثة أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص + الرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح

الركن الثاني المرائى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها + **القسم الأول** وهو أغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات + الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب لكنه يرائي بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الآية وقال وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملحدة أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد من حال الكفار المجاهرين لأنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر + الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها أو يدخل وقت الصلوة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس أو يغزو أو يحج كذلك فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد + الثالثة أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله وأما هذا فلم يفعل

ذ[illegible] عقابا على ترك النافلة [illegible] الرياء باصول العبادات القسم الثا
ني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضا على ثلاث درجات الاولى ان يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان
يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل اى انه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه ادمى احسن الصلوة ومن جلس بين يدى انسان
متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين
الصلوة فى الملاء دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردى فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من مذمته
وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا اكمالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه
دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائى انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان
بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس ليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك
وهى خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت فى هذا الا كمن يهدى وصيفة
الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان الملك وحده واذا كان
عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائى فيه
حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرنى الاخلاص فى تحسين الركوع
والسجود ولو خففت كانت صلوتى عند الله ناقصة واذانى الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا
فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية
فينبغى ان يستمر على عادته فى الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق * الدرجة الثانية ان يرائى بفعل ما لا
نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة فى رفع اليدين والمبادرة الى
التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد
فى الزكوة واعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه * الثالثة ان يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا
كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى
اين وقف ومتى يحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم * **الركن الثالث** * المرائى
لاجله فان للمرائى مقصودا لا محالة وانما يرائى لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات * الاولى وهى اشدها واعظمها
ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة
فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها
ويجحدها او تسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد
يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون
مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن فى الرفقة
من امراة او غلام وهولاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها الة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من
هولاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة
واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة
عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى * الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذى يظهر الحزن
والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذى يرغب
فى ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا ولكنه دون
الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه * الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح لكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص
ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل

عه انخزال بريدن [illegible] عن القوم ١٢ صراح

اللهو والسهو لا من أهل الوقار لكن ذلك يسبق إلى الضحك أو يبدو منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول يا أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئاً من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائياً فيريد أن يقال إنه ساتر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذراً تصريحاً أو تعريضاً بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطييباً لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلاناً محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بداً من تطييب قلبه ومثل أن يقول إن أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعني أن أصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يبالي كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً وإن كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلاً عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم

بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل. اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاه وأخفى منه قليلاً ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكناً في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر منه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتاً وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضياً خفياً أن يتكلف سبباً يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضاً وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضاً وتصريحاً ولكن بالشمائل كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليها ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلاً من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلاً عنيفاً فقال الملك أين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء

ان تخلصوا أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم او الصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته ام لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمودة اربعة اقسام ✦ الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به ✦ الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل ✦ الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخائل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة ✦ الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في مثل هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه ✦ واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى اعلم ✦

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط ✦

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ او ورد مقارنا له فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد روي عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصد له لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او تذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي انه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنع من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء الصلوة

فرح بعض سرورهم بمعرفة الناس بتحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على
الحركات فان غلب ذلك بحيث انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن
من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى
حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى الى الاحباط في امر هو اهون من هذا
وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه نقض العزم
الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت
اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبطه اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى
لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك
اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل
اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور
عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه اراد قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرور بسبب
حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان في السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي
اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات
الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا
عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على
الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد
الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال
ان الذي وجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في
كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث**
الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء
ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع
والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل
يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب
ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا و
لكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه
جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتفسد الصلوة وكذلك
قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم
على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا
خلا بنفسه لم يصل ولما راى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية
عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع
الباعثان فهذا اما يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع
باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا
يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان تكون فرضا او نفلا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلوته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين
من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد

جداً ان يظن بالمصلى انه يقصد الثواب بصلاة تطوعه فتصير باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص
فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعها فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثاً في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلاً حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشاء صلوة
تطوعاً لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جداً فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر
بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصياً بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع
باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلاً دون اصل الصلوة مثل
من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدى صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع
بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن
القدح في النية هذا في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه واما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان
يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقاً بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد
العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقتصاد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم ❊

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه ❊

لقد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير
عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي
يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة فيترسخ ذلك
في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكاً بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة
الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولاً وتخف آخراً وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه
والثاني دفع ما يخطر منه في الحال ❊

المقام الاول في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول
وهي حب لذة المحمدة والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابياً
سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه
وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب الرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي
العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك
اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غزا
لا يبتغي الا عقالاً فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال
الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفاً من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره
على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر
الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السوال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث
وهو جاهل به كل ذلك حذراً من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن
ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في
الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سماً اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان
يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض
له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض
الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت
اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد
والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول

الى كفة السيئات فترجح به وتهوى الى النار فلو لم يكن فى الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا فى معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته
راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله فى زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا
مع ما يتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم فى سخط بعضهم
ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه ثم اى غرض له فى مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا
ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة واما الطمع فيما فى ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه
ولا رازق الا الله ومن طمع فى الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد
قد يصيب وقد يخطئ واذا اصاب فلا تفى لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يعجل اجله
ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم
عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر فى قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله
قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما فى باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره
حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح
والثناء عليه مع انه لا كمال فى مدحهم ولا نقصان فى ذمهم كما قال شاعر من بنى تميم ان مدحى زين + وان ذمى شين + فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وسلم كذبت ذاك الله الذى لا اله الا هو اذ لا زين الا فى حمد الله ولا شين الا فى ذمه فاى خير لك فى مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار
واى شر لك فى ذم الناس وانت عند الله محمود فى زمرة المقربين فمن احضر فى قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق
ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه
انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة
وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه فى الشطر الاول هى الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء
العملى فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه
النفس الى طلب علم غير الله به وقد روى ان بعض اصحاب ابى حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا
فلم يرخص فى اظهار هذا القدر لان فى ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق فى بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف
سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتائيد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما + **المقام الثانى** فى دفع العارض منه فى اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة
وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه فى اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء
ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحى بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد
وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون
[illegible] والثانى حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد انما كمال القوة فى دفع الخاطر الاول ورده قبل
ان يتلوه الثانى فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاى فائدة فى
علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله فى القيامة وخيبته فى احوج اوقاته الى اعماله فكما
ان معرفة اطلاع الناس تفيد شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم
والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد فى رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة
والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة للشهوة التى كان الضمير منطويا عليها
وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات
الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند
جريان سبب الغضب ثم يجرى من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه

فلذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب اليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحت الشجرة على ان
لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى
ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان ومهما انسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد
يتذكر الانسان فيعلم ان الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على
ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه
فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة
والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهيته اذ الغرض من الكراهة
ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم
وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحيوة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج
بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغصب
القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته
الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة
المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها
وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما
كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا
الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال عليه السلام او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس و
الكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في
حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فان يندفع بها ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله
الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته
نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات
والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا
مكيدة وهي انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص و
حضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في
دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **الاولى** ان يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم
لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق
نقصان في السلوك **الثانية** ان يعرف ان الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان
لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فليستمر على ما كان عليه مستصحبا
للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ
الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب
ياسه وقنوطه حتى لا يرجع ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال الشيطان اللهم اغفر له
اني لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان
ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا
رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا
به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما
عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه فقد تأخر فلما مر الثاني عليه

نهاه واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الصائل ولم يشتغل بالقتال واستعجل فرجع صنيعه الصائل ثانيا فوقفه للدفع فيه او عربه الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل
بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فيه فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر به الرابع فلم يتوقف له فاراد ان يحيطه فزاد فى الثالثة وترك الثانى فى المشى فيوشك
ان يعاوده مرة واعليه مرة اخرى الى ان يعاود الجميع لا الاول لا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة بما يستعجله فان قلت فاذا كان الشيطان لا يؤمن
نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة
عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله تعالى
واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى الخمر والزنى فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت
مباحة كالخمر والخنزير واذا اخلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد
للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق
ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت
فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو
وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس
الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى واسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله اياته وقال النبى صلى الله عليه
وعلى اله وسلم انه ليغان على قلبى مع ان شيطانه قد اسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله
وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور
بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينهه
الا عن شجرة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يأمن نبى من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره
ان يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما اخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان انه
حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران
من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال
امره وقد امر بالحذر من العدو وكما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك
يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك فاشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفى اهمال
الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله عنه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان
ذلك قادح فى التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فكيف يقدح فى التوكل
الخوف مما خوف الله منه والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيى والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان الهادى
والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه فى التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبى رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله
يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو
بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه فى كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغى ان يكون شىء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر
منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد
الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث
لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله ولا يخفى
غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله
تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان

[illegible] الدرجة الثانية فقد شاركت الاولى في الحاجة الى [illegible] القلب عن ذكر الله تعالى [illegible] الشيطان [illegible] ينقص من ذكر الله تعالى [illegible]
[illegible] ان [illegible] والحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته [illegible] وصدق به وسكن اليه
[illegible] يشتغل بذكر الله ويجعل همه الآخرة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذكر الله بعد معرفة عداوة الشيطان [illegible] تنبه
[illegible] ولا يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل يهمه امر وهو خائف من ان يفوته [illegible]
وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فيتنبه بالليل مرات قبل الوقت لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله [illegible]
ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد مات منه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط [illegible]
الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا
بنور الذكر حتى اجتزؤوا بطرد العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيرها من الماء القذر لينفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر
والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي
جعل مجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء
قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل

القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في
الملاء لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها
كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والصيام والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي
اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه
ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلوة بالليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد
والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي
المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في
العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية في القدوة فافضل من السر ويدل على ذلك ان الله عز وجل امر الانبياء باظهار العمل
للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في
الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه
فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما
حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى
به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي
به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية
القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به الثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار
بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع
الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم
حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام
العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك
ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو
المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه
مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد
وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار

لا يقتدى به ممن لا يقتدى به فيه تهييج الرغبة الثاني أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل
نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو
تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى
عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه
ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت
نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول قولا قط إلا علمت أنه حق وقال
عمر رضي الله عنه ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي وقال ابن مسعود ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها وقال عثمان رضي
الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت
حتى أزمها وأخطمها إلا هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت لا تبكوا علي
فإني ما أحدثت ذنبا منذ أسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله لي بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في
مواقع قدر الله فهذا كله إظهار للأحوال الشريفة وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على
قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل إظهار المرائي للعبادة
إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس لكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي أنه كان يجتاز
الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة
فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار المرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام
لا خلاق لهم كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم + **بيان** الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس
عليه وكراهة ذمهم له + اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل
العلانية قال ما إذا اطلع غيرك عليك لم تستحي منه وقال أبو مسلم الخولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه
درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الإنسان من ذنوب بقلبه وبجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في
الشهوات والأماني والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد إخفاءها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أن يستر ذلك ليرى
الناس أنه ورع وأنه خائف من الله مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه
باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه **الأول** هو أن يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في
الخبر أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان + **الثاني** أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب
سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا
ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله ظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا ويغتم بسببه **الثالث** أن يكره ذم الناس له به
من حيث إن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغله عن الطاعة وبهذه العلة أيضا ينبغي
أن يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة
من الإيمان + **الرابع** أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس
بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصي إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا
يتألم به نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك
قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله
وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمد بالورع ولا
يجوز أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم
بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإنما مراده أن يتركه الناس
حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فإنه مؤلم فحب الحمد

... فيطلب به ... الطاعة ... الذم على النفس ... أحد ... يشغله ... الناس على ... الطبع
ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله ... فإن الذي يكره الذم من حيث ... فقد عصى الله تعالى به
... الإيمان ... أن يكره ذلك ... أيضا بهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره ... التوجع من ... السادس أن

يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فإن الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه. السابع مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر خلق كريم يحدث في أول الصبى مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحياء شعبة من الإيمان وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحياء لا يأتي إلا بخير وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر ويستحيي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء أنه مستحيي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الإخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرائي معه وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أنه يستحيي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال أحدها أن يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فإن المستحيي إما أن يتعلل أو يقرض فإن أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء. الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الإعطاء فيهيج داعي الإخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالإعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه. الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات أيضا حتى إنه يرى مستعجلا في المشي فيعود إلى الهدوء أو ضاحكا فيرجع إلى الانقباض ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحيي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب. الثامن أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفي العاصي أيضا معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائيا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة فإن قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بصلاح ويحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فإنه تعالى إذا أحب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الأعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فإنها مقاسات ومجاهدات إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو لذيذ وهو أكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه

الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاثة احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له

ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي ان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد ان يبقى معه اصل قصد الثواب

فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتمم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافها بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما تركهم دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من دفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي اكبر منها لا لمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها

القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار

واعظمها الخلافة ثم الامارة ثم القضاء ثم التدريس والفتوى ثم وقال الغزالي رحمه الله تعالى اعلم ان الخلافة والامارة وهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تأمر على اثنين انت وقد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت ان نهي ابي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس متناقضا واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال عليه السلام من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر كذا كذا قمطرا من الحديث وقال يمنعني من الحديث اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك

قلوب العوام ويطمعون بقبول قلوبهم فلا يسمع منه شيئا من الحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأنا أقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه فإن قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن طلب الإمارة وتوعد عليها حتى قال إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك هلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق العلماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال المسيح عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فإن قلت فهذه الآفات ظاهرة فلكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا إلى الهدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق

كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقل
لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له ايضا اترك ما دام
يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث
الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات
وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة
الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات
الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية
والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات
ينبغي ان يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة اشبه وان الحذر منه في حق
الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال
السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال
القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على درج مسجد
دمشق اصبت كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس
في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله
اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل
وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه
من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا
تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو
موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة
وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل
ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر او الكسب الحلال والانفاق في الخيرات وذلك لما في الكسب من الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته
افضل من امساكه بكل حال فان قلت فباي علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات
احدها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا او اغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل
علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في
الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ
دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل
من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه
قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام
له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه
او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن
من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقا
وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملنا من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس
لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث
قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء

وان لي بسبب ... من البغال فشكا من حاله حتى رق الحسن له واصحابه فمضى الحسن يكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم
الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا
اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه
فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى
مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان الخيانة
ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل
فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا اغزى اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك
فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة
او تسألوني عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون
ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا ارحم الراحمين ✣ بيان
ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح ✣ اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد ويقوم بعضهم فيصلون
الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلوة
بالليل اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان
الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق
ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في
بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع
بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل
التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق
عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره المواضع او سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله
ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط
مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه
فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب
يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا
تزيد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان
نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت
لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء
فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة
والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رآهم يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك
الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه به فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب
عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك
لحب حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس
الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة
ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس
يؤثر في ترقيق القلب فقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه
فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة

غيره كيف [illegible] فان لم يجد ذلك عند تقديره الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان عليه السلام
لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القران او الذكر او بعض مجاري
الاحوال تارة تكون من الصدق في الحزن والخوف والندم والتاسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس
والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء
وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض
لسخط الله به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء
لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى زيادة تحزين للصوت او دفع له او حفظ
الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه
من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا
عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق
خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف لكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته
صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر
انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن
واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف
فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع
الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون
للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل خطراتك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه
واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر
ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله
احد الثلاثة النفر الذين حاجوا ايوب عليه السلام اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته
وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة
العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوا عملي تقربا
الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب عليه
السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب
العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل
فكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس
وتفتيش عن خدعها نسال الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم ان اولى ما يلزم المريد
قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه
على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم لو
عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل
هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد الاباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته
ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون
لي على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة
في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران

بالنوافل فان لم يسلم ما يوجد ابدا الفرائض من عمله فلا يلتفت الى الاختلاف لا حرج معقبه روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اول ما يحاسب العبد
يوم القيامة فان انتقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فيأتي المخلط يوم القيامة
وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات
فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد
الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون
شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله و
بعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة
والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه
دخل بالاخلاص وشك انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء
شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم
ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد
وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه
او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ
بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء
يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فادلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه اية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة
من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال
علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او ببدرتين وكان ابوه صديقا
لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال رحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت
كيف صار هذا المال الي فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي
فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه كانه كانت اخوته مع ابيه في الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم
املك نفسي ان جئت اليه فقلت ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة عد انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال
يا مبارك تاكلها انت هنيئا مريئا واسأل عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم
قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ
لان ارادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد لله
ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا بان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك
من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضى الله عنه في رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند
الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته عن قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له ان يلزم قلبه
ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته
به وانما سلوته لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له
سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى
هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني
في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد
سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة
فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمع علي النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من
قوته قالوا فما تصنع به ونحن احق به فقالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته

منهم قال وقد قلت لبشر بن دينار [illegible] لا تطلبوا هذا من لا تعبده فانظر كيف يكون من يعبده واجعل
اعتمادك على ربك ودع الذهاب الى الهيبة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وعلامة لا يشعر العبد به فينبغي ان
يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة
ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب
اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى ان لا
يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية
اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو
سريعا او يضحك كثيرا او يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك
الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات
ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير
فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان
استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء
بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي انه لم ير الاغنياء في مجلس اذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري كان
يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان
بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير
اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني
اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك
وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها
في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة
في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك
على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة
وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه يزداد
كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الاوجاع والآلام عليه وأداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب
لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب
رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل ما يهلكه في آخرته وهي لذات الدنيا
وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء
ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم ان الله كريم
رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم
حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه
فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي
الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا
فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورافته ورحمته

تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور + العزيز الجبار المتكبر + العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع + الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع + وكل متكبر في جناب عزه مستكين متواضع + فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع + الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع + القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه + وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه + وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه + وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه + فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه + وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه + وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه + فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه + ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه + جل جلاله وتقدست أسماؤه + والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه + حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه + وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه + وخيرته وأصفياؤه + وسلم تسليما كثيرا + **أما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب + **الشطر الأول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه + **بيان** ذم الكبر + قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى إنه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والإنس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وآله وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله

تدعيهم الثرثارون المتشدقون فيها المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال تطأهم الناس يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول + الآثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض وقد قيل في وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه + بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب + قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه اذ اعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان + الآثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احد طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم + وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا + ويروى ان مطرف بن عبد الله ابن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى اعلم + بيان فضيلة التواضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل

فقال ما هذا فكنا به يعطونك حيلنا فيه شيئاً من حسن تواضعه وقال ما الى كلام أحد به ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ويروى ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلاً من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم خيرني ربي بين امرين ان أكون عبداً رسولاً او ملكاً نبياً فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبداً للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله + ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوماً ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار + **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدى طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسأ اخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى لهو احقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالاً او جمالاً او ثياباً او علماً ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقاً من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هارون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص اولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً الا رأيت له عليك فضلاً وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلباً اشد تواضعاً من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني خشيت انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه

وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان احد يسبقني الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا و قال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما انت وكان هذا دأبه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي ابعدك الله او تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال لي ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل ✦ وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد ايضا التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه امرأة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق ✦

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنتفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكأن الانسان مهما رأى

نفسه بعين العين وهو لا يستعظام تكبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات تسمى ايضا عزة و
تعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة
تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه
وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه
ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه
في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف
من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم
وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها
فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه هلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا
عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول
بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب
للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر
ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر
على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم
الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه
مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد
له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد
على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا
انتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها و
يعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر
الا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين انهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس * بيان المتكبر عليه ودرجاته واقسامه وثمرات
الكبر فيه * اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا
التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه
كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى
اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية فقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما
تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار
فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما
حكى الله عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان
فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله تعالى عنهم

نزول هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم على
الرسل اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم
واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم
وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين
ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن
الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر
الله والتواضع لرسوله ✤ القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع
عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة
والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد
نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه
للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده
لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان
يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه والخلق كلهم عباد الله وله
العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين
منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك ✤ الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى
في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون
عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر
عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من
يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم
لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على
امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين
الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن الشماس فقال يا رسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من
بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى
وقوله سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه
فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله ✤ **بيان ما به التكبر**
اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني
هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب ✤ **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى

البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤه بالسلام فان بدأ واحداً منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده و
يداً عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكراً له على صنيعه بل الغالب
انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه
وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله
تعالى اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلاً اولى من ان يسمى عالماً بل العلم
هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم
وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ويقتضي ان يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا
قال ابو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجعاً وهو كما قال. فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وامناً فاعلم ان لذلك سببين احدهما
ان يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث
الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو
وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبراً ونفاقاً وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوماً
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً. السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث
الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل اولاً بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فيبقى
خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال العلم
كالغيث ينزل من السماء حلواً صافياً فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال
فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبراً والمتواضع تواضعاً وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به
فازداد كبراً واذا كان الرجل خائفاً مع جهله فاذا ازداد علماً علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من اعظم
ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك
ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن
لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه وقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال
عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فابى ان يأذن له وقال له
انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلوته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلوته
قال لتلتمسن اماماً غيري او لتصلن وحداناً فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء
من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالماً يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي
ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته
وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا
عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضاً اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله
سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديراً بنا ان نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من
سوء اعمالنا ومن لنا ايضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله ويستر علينا قبائح
اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله. الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في
الدين والدنيا اما في الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم
في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على
الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً وهو الهالك تحقيقاً مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم
الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته و
كيف لا يخاف ويكفيه شراً احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم كفى بالمرء شراً ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه

لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتقربهم [illegible]
الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه متنزه عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم
بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما روى ان رجلا في بني اسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل
وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس
اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا
العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي رواية اخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع فهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم
فالجاهل العاصي اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا
في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر
الله لك ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب المطرف الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب
الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان
يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع
بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من
كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات
الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة
ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك
نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس
ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين
الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة
للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد
العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي
صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر
على ثلاث درجات ❊ الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه
وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية ❊ الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار
الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه
من الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في
الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو
كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم
واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال
والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان
فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا انام الليل واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري
مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده واخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته

فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل يقام ويصلي اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقايق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما سباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليتعزز بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب خوفا من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل + الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم ويرى ان الناس له موال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول للغير يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك فانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا اباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال ابوذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر كل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليدعن قوم الفخر باباءهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر + الرابع التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم قد اغتبتها وهذا منشأه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت + الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون + السادس التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على البعض فيتكبر من

يُدلي بشيء منه على من لا يُدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلمه على
من هو اعلم منه لظنه انه هو الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شيء قدير + **بيان** البواعث على
التكبر واسبابه المهيجة له + اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرته ونتيجته وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم
الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سيأتي معناه
فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما التكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق
بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا
الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء + اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال
والاقوال والاحوال + واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب
سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم
من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة
من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله
عما هو جاهل به + واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى
جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده
او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق
المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه + واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس
بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه
فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا
عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب
ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه
لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن
كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى
اعلم + **بيان** اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر + اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا
واطراقه راسه وجلوسه متربعا او متكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته
وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض
فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين
يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها
ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مُشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من
عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر
والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في
الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحاق تبعث
اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال
ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون
بالجبابرة واني لا اعرف رجلا منكم شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينزع يده
حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنده اصحابه يأكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روي ان عمر
ابن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه
قال فانبه الغلام فقال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر و
رجعت وانا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا يأخذ متاعه ولا يحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك قال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو
امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام قال ثابت بن ابي مالك رأيت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع
الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كأني انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في
الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه وقد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال
احق ان يحمل + ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هارون سألت معنا عن البذاذة فقال
هو الدون من اللباس قال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من
ادم وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني
لاغسل ثوبي هذين وانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها
لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك يا امير المؤمنين
فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى طبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطباق تاقت الى ما عند الله عز وجل
وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان
الله قد اعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله ان يدخره عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام
جودة الثياب خيلاء فلم قد سئل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع
بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي
عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره
فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرديء من الثوب قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل
اذا رآه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من التكبر
فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب
الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة
ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك
والينوا قلوبكم بالخشية + ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف في احتمال الاذى
في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة
قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك
دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعلف الناضح
ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيي ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه
بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود
او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر

ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام
من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق
لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال ابو سعيد فقالت ما اخطأ حرفا ولقد قصر
اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل
جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض
ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك
من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما
من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما
نقل من احواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم
يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله
عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره عاتب به من استنكر بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم
الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم
ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن
وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا او ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه
السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون
احدا على ما آتاه الله ... اطيب الناس خبرا وألينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية
وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد الى الله ارتياحا اليه واشتياقا
اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة
وكيف لي ان ابلغهم فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد
في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله
تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم
اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ✦ **بيان الطريق في معالجة
الكبر واكتساب التواضع له** ✦ اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة
واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان ✦ احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب الثاني دفع العارض
منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره ✦ **المقام الاول** في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي
فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا
يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول
وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة
في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان في ذلك ليفهم
معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد
كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من ارذل الاشياء ثم من اقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا
العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه
كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله

قبل علمه وبجماه وقبل بصره وبعميه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اى شئ
خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك
خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما تيسر له فى مدة حيوته الى الموت وكذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر
وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد
العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة
والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد
الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لا شئ واى شئ اخس من لا شئ واى قلة اقل من العدم
المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه
ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه
النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى
ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده اولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء و
هو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى
لكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض
من اجزائه البعض شاء ام ابى رضى ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان
يعلم الشئ فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول فى اودية الوساوس و
الافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشئ وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه
وترديه ويستبشع الادوية وهى تنفعه وتحييه ولا يأمن فى لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف
روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه وغيره فأى شئ اذل منه
لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا وسط احواله فليتأمله واما آخره وموارده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم
اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه
وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه
وتصير رميما رفاتا وتأكل الدود اجزاءه فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا فى اجواف الديدان
ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان
ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان فى اول امره امدا مديدا وليته بقى كذلك فما
احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى
قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك فى حيوتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها
وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت
واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد
ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره
فما لمن هذا حاله والتكبر بل ما له وللفرح فى لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار
ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب
وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى اهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا

من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجد واريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا
حاله في العاقبة الا ان يعفو الله عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به
العقوبة الا ان يعفو الله الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر الى ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة
على ملاء من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق
العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر واما
العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست جديدا اشار به
الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة
اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه
فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم
ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر
كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك
لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت ❊ **المقام الثاني** فيما يعرض من
التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر
على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه
بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر** لئن فخرت بآباء ذوي شرف ❊ لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ❊
فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن
انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات بل هما متساويتان
والشرف للانسان لا للدودة ❊ الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه
الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس
بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة
فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان
ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة
فلا اصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغتسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب
ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة
الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك
في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره
فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب ويتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم
خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه ❊
السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه
تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه
والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد كل يوم الى الخلاء مرة او مرتين ليخرج من باطنه
ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور
من النطفة ودم الحيض ثم اخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر

قال الحسن رحمه الله كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس
لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء اذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته فهذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حيوته يوما لم يتعهدها
بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من
اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار
هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال
الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد
سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تأملها ❊ السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي ويمنعه من ذلك ان يعلم
ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن
لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او
فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم ❊ السبب الرابع الغنى وكثرة المال وفي معناه ❊ السبب الخامس وهو كثرة الاتباع والانصار
والتكبر بولاية السلاطين والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان
المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه
بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل
لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودي واف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود
صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل
وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي لك وان استرجعه زال عنك وما انت الا عبد
مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله
وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم
فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم
نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا
ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل
بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه واعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات
يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة له فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون
من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره ❊ السبب السادس
الكبر بالعلم وهو اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم
عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا
كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق
الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل
عشره من العالم فانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم
القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى
عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
اراد به علماء اليهود وقال في بلعم ابن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس رضي الله عنه
اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته لا يدع شهوته ويكفي العالم
هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي

هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا
اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان
من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان
بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا اؤكل ويقول الآخر
ليتني لم اك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوء حالا من الطيور ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي
هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده بامور فشرع فيها فترك بعضها وادخل النقصان في
بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه سيده ام لا فاخبره مخبر ان سيده ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه
على بابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ منه المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن
ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين
يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه
عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب
والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة * الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده
وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك
قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له
مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا ان من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله
بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق والمبتدع وكيف
يرى نفسه دونه وهو عالم عابد وكيف يجهل افضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم
ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور
ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة
ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه
لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع
الفضائل في الدنيا يراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر
وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال هذا قد اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى
صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية
اليّ كما لم يكن ابتداؤها اليّ فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا
فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول
القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية ووعدوا
بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو
وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض
فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل
وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل
مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن
هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او عند امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك
الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل

الصالح من حيث انه نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام
عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول
تغضب لمولاك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك
بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب
عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه
واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه
لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع
له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك
ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء
في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في
الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة
وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر. السبب السابع
التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم
لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرف من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما
عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن
وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي
ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا
لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان
يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العابد والعالم خائف على نفسه
وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد
مع العالم فاما مع غير العالم فهم ينقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكثر منه عبادة
واشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد على ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو
اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد
كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل و
الوسوسة في صفات الله تعالى وتخييل الخطاء في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا
وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف
الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك
فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا
الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا
حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان
فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به
وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يزال خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه
خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما اظهر من الطاعات ان يكون
دخلها الآفات فاحبطتها قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الازل

[illegible] لا سبيل الى ان يتكبر بعمله الى ان قال نعم اذا غلبه الخوف فرأى كل احد خيرا من نفسه فذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا [illegible]
[illegible] فقيل له في النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فقال ابي ابيع [illegible] واكتسب [illegible] فاتصدق بنصفه واطعم عيالي بنصفه
وحج وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله تعالى فاتي في النوم ثانيا فقيل له ايت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذي بوجهك فاتاه فسأله
فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات بالدؤوب بالاشفاق
فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر لما سبق به القضاء في الازل ينكشف عند خاتمة
الاجل غلبة الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن
ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن
القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت
وعدها فمن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال المتواضعين في مواضع هيجان الكبر من النفس
وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة + الامتحان الاول ان يناظر في مسألة مع واحد من
اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل
على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله
تعالى واما بالعمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة و
يقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا
واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل
عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملاء فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند
الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملاء جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني
فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان + الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس
في الصدر تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس
في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم
تركوا اماكنهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف
النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن + الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل
عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه
مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر + الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه
ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض
القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة و
القلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم + ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان
في غلمانك وبنيك من يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة
ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة والشيء فقد برئ من الكبر + الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملاء رياء
وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ
من الكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني و
روي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص
بالملاء فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه + بيان غاية الرياضة في خلق التواضع

[illegible marginal notes]

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى
تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوساطها
فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له
من مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل
وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في
السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره
وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات
ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه
الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية وان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان
فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق
والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس
من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخاسس والتملق مذمومان واحدهما اقبح
من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان
اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على
الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى
آله واصحابه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا
يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي
برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمير
والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد
المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا
تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد بنفسه فاكب
عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يعرف في طلحة باو منذ اصيبت اصبعه
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباو هو العجب في اللغة الا انه لم ينقل فيه انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت
من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم قال مطرف لان ابيت نائما
واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر
الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر
فلما انصرف عن الصلوة قال له لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل
لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة
واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه
احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى
نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها
فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق
والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب

[illegible]

[illegible] اعمالهم [illegible] وصاحبه

ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال [illegible] العقائد

خطر له فيفرح بكونه من [illegible] ولا يسمع نصح ناصح [illegible]

خطئه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما [illegible] نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور

القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك

كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن

التوفيق لطاعته * بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما * اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه فهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه والله تعالى اعلم *

بيان علاج العجب على الجملة * اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط ولنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحق واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس فاما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطيك احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان عجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب

اعمالهم فاذاً لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضاً من فضله وجوده فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالى وانى انا عملتها فانى انتظر عليها ثواباً ولولا انها عملى لما انتظرت ثواباً فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مساهلة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفى شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى اعضائك مستبداً باختراعه من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق فى العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علماً بالمراد ولم يخلق علماً ما لم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيئاً بعد شئ هو الذى خيل لك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مساهلة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة والقدرة مفتاحه فهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح لا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهى بيد الله لا محالة ارأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذها فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة فى تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشأن كله فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف لا دافع ولا باعث الا وكان باعث فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وهيأها عليك حتى تيسر لك الخير من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصى بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصى واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلاً الى مخالفتها فكأنه الذى اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلاً تحقيقاً فله الشكر والمنة لا لك وسيأتى فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذ رزقه الله عقلاً وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعنى قوت يومى وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلماً ولا يدرى المغرور انه لو جمع له بين عقله ومال الجاهل جميعاً لكان ذلك بالظلم اشبه فى ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى او هلا رزقتنى احدهما والى هذا اشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى احسن حالاً منه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضاً عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب من ذلك وكذلك المرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثلى من الزينة ويخص مثل هذه القبيحة ولا تدرى المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذاً نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يا رب لم حرمتنى الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرساً فيقول يا ايها الملك لم لا تعطينى الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب انى ما اعطيتك فرساً صارت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء قبل الاستحقاق وهذا ينفى العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تأتى ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم الا وانسان من آل داود صائم وفى رواية ما تمر ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلى واما

يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما
اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل
يسألونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم اخبرهم
باي شيء ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما
اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين + وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام
قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من
اين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يا رب منك يا رب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا و
لا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون
لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف
سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك
فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق و
ختم له بسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال والله تعالى اعلم + بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه + اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما
لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام + الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته
وبالجملة بتفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في
اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع + الثاني
البطش والقوة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى فثقب الله
تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المومن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت اعجابا منه بالقوة ويورث
العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف
قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه + الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا
وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي
والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك
منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما
عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون
منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من
يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا + الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى
يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في
افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس
ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند
الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فائدة
النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية
حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم

عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد اذهب عنكم عُبّية الجاهلية اى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يا معشر قريش لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اى اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه الصلوة والسلام اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا جدير بان يرجوها لكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده ولا يرافقه اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الآية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه الصلوة والسلام بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله وبنفسه وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال لي يا ابا ذر هذا عند الله

خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله ✚ الثامن العجب بالرأي الخطاء قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطاء جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ✚

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ✚

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور ✚ وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ✚ مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ✚ ومورد اعدائه ورطات الغرور ✚ والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور ✚ وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور ✚ صلوة تتوالى على ممر الدهور ✚ ومكر الساعات والشهور ✚ اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ✚ ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة ✚ فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ✚ ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ✚ ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ✚ ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة ✚ فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور ✚ والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ✚ فالاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا ✚ وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ✚ ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ✚ واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ✚ ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه ✚ وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ✚ ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه ✚ فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد ✚ فاخذ منها حذره ✚ وبنى على الحزم والبصيرة امره ✚ ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور ✚ واصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ✚ ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى لكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف ✚ الصنف الاول من العلماء ✚ الصنف الثاني من العباد ✚ الصنف الثالث من المتصوفة ✚ الرابع من ارباب الاموال

الرابع من ارباب الاموال والمغترين من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها
من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل
بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير
ذلك من مداخل لا تنحصر الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن نعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وامثلته وحده بيان
ذم الغرور وحقيقته وامثلته * اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم
وغرتكم الامانى الآية كاف فى ذم الغرور * وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم
ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد
الشئ ويراه على خلاف ما هو به والغرور جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره
فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمى الجهل الحاصل
به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن
شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت
درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة
الغرور المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور * اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد
خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى اذا خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك
اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان
يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله عز وجل وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك
الله ابعثك رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان حضور المكتب خير من حضور
الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان تعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل
مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على
نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير
من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان
هذا الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب
الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من المرض فى المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون
فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان
اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الآخرة فانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد
وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط فى قوله النقد خير من
النسيئة فهذا غرور منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من
النسيئة اراد به خير من نسيئة هى مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة
شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه
على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك
وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت
كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين

ولكن يقول حر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما يخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام ما
قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العدم من الازل
الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين
ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على
قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين
وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص مثالهم
مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى
تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن
الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه
ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع
في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم
عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف
بانهم من اهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي
الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث
على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامور
الدين تقليد لجبرئيل عليه السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط
وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة
الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر
الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه
من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم
الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار
اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر
رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب
ورد على آدم عليه الصلوة والسلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني
وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك
فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم
يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع
الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر
القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء
ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن
والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار
في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم
ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال تعالى واني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان

والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا + وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض لي فقلت اني آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله تعالى قوله افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر شعر لقد احسن الله فيما مضى + كذلك يحسن فيما بقي + وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا فبين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة او بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال الله تعالى

ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيداً واكيد كيداً فمهل الكافرين امهلهم
رويداً فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكراً منه وكيداً
مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه
استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل
بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور + **المثال الثاني** غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله
كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين
وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما
كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم
انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار بالله
تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انساناً احب اولاده وان الله قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان
نوحاً عليه السلام اراد ان يستصحب ولده معه في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال تعالى يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
وان ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم استأذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في
الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضاً اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع
ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب
الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضاً بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى
بشرب ابيه ويصير عالماً بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئاً وكذا جزاء التقوى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين
الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي انساناً
الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشف ذلك فقال الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع
به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم اليق وهذا
لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر
على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريماً يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم
ينتظر الاجر ويزعم ان المستأجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنياً مغروراً او راجياً وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة + قيل للحسن قوم يقولون
نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه + وقال مسلم بن يسار
لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله تعالى فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب
منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او
امن ولم يعمل صالحاً او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي متردداً في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات
عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردداً بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه و
ان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد
ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلاً ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون
اي علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح
فارجعنا نعمل صالحاً فقد علمنا الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سألهم
خزنتها الم يأتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه يوفى كل نفس بما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم

وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم
انه محمود في موضعين * احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى
فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق
فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو ان يدرك
الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام للصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب
التي لا يعرفها فهو مغرور * الثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى
ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط
والتشمر فكل توقع حث على توبة او على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما انه اذا خطر له
ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة
فهو غرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على
جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء
قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب
اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد اخبر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان
ما وعد به صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم
طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق
آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى و
فضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر
يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم
كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن
وما فيه ومثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم
ورثوا الكتاب اي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه
وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم
الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف
لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انهم تترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل
فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق
به هو من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام او الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي
الكفة الاخرى الفا واراد ان تشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه
ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره

الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بإظهار ما يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه والتبين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم.

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف من الأصناف الأربعة

الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فلو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك عن مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره فهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى وكقوله عليه الصلوة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول أبي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم سبع مرات أي أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون

فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته لنسبه واسمه
وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه
ويحبه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا
الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من
صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك مثله الافا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم
تاخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسالة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط
الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا
الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين واذا لم يكن بهذه الصفة
فهو من المغرورين **وفرقة اخرى** احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات
المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف
بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة
من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلوة والسلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله عليه الصلوة والسلام حب
الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء
زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص
وباطنها نتن او كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة او كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد
الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش
يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤسه واطرافه فلا تزال تقوى اصوله فتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق
الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء
فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب
دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن **وفرقة اخرى** علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم
لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم
فاما هم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليه مخائل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار
شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي اعداء الدين
وفرحوا بذلك وكان ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان
النبي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة
حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين
بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان
بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه
ولم يظن بنفسه الحسد حتى يمتحن نفسه انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الان فيكون
غضبا لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه
واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى
ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له

عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يديه او على يد طبيب آخر فربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك
لانه اذا اهتدى بك كان لك الاجر والثواب فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي
بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى
يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان
التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع
شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع
المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان يأخذ من مالهم
واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين افلا يحل لك ان
تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه يأخذ الخراج من المسلمين واهل السواد
والذين اخذ منهم احياء واولادهم وورثتهم احياء وغايته الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه
مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسمه بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر. الثاني في قوله انك
من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض
عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ
الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم
السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة
خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخرى** احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي
وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب
منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه
فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج
رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها
فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد
للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله و
نشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد و
الورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد
والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والتفرد بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر
الاقران والاشكال والجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن
ادلال بالتمييز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور وحياته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت
عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما
يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من يعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد يعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه
عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يفرح بتجواب الحاجب على البعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع و
انما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو
يظن ان قبولهم له لاخلاصه وعدله ثم يشكر ما يجري له فيحمد الله تعالى على ان يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد
مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء
لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعسا لا يجتهد نفسه

فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه
ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم انه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على
نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية
عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره
ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة و
يرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة
فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وانى لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد
بنفسه السلامة عن عيوب القلوب وخفاياها فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا او غيره فيفرح
ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا
انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا ينتشر لقضاء حوائجه كما كان ينتشر من قبل ولا يحرص
على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه
الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل
بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وان اثنى
عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك
فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف
الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته
سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار
ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم
بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه **فمنهم فرقة** اقتصروا على علم الفتاوى في
الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا
مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر
الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما
العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف
على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن
يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات و
الحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه
واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور
بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال
وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث
العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وربما طعن في
المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي
يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم
يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر
ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة

منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ‌و الذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال فى طريق الله آلة والبدن مركب انما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك فى انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج فى شئ ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه فى المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل المجادلة التى تجرى بين المتصارعين فى الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل فى الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها وغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم

وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هى التى تدعو الى غير السنة والمحقة هى التى تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم فاما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اوتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومناهجها فرأى احدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات فى دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياء وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانما فقئ فى وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا فى المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطأ فى تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا فى بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفسى

ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس
السماع فكان اول حديث روي قوله عليه الصلوة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع
غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا
انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو
وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة
فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان
لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من
اللغة علم الغريب في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهذا فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر
عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهذا ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو
غرور اذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء وضيع اوقاته
في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراآت والتدقيق في مخارج
الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة
العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من
اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه
وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع و
سائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل
البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا
يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها
محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا
وعرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى** عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا
الحيل في دفع الحقوق واساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في
الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المرأة متى ابرأت من الصداق برئ الزوج بينه
وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه
فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا
تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا ترددت بين
ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها
لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا
في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل ان يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان
لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين
وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال
فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند
الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه
او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام المرتزما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال العبد ان غفرت له
يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة

فماذا اشتهيت فقال انى سلطت ليك فى امرئيهبه لى قال نعم فحدث ذلك يانبى الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت ما فعلت قال لا قال فارجع فتبين له فرجع فناداه فقال لبيك يانبى الله فقال انى اذنبت اليك ذنبا قال الراهبه لك قال لا تسألنى ما ذلك الذنب قال ما هو يانبى الله قال كذا وكذا وذكر شان المرأة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبنى قال يانبى الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدى الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله ان يستوهبه منه فى القيامة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة فى اخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعى قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع واعما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاموال الفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الله تعالى فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى امثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف الثانى** ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلوة ومنهم فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم **فمنهم فرقة** اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا ال الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك **وفرقة اخرى** غلب عليها الوسوسة فى نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى اول الصلوة ثم يغفلون فى جميع الصلوة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم فى تصحيح النية فى اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى** تغلب عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة ويتانق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجرى به وقلبه يتردد فى اودية الامانى اذ لا يتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب

بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومنها قد يظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد كيلا ينسى بل لحفظه وحفظه
يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله
وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله
تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته **وفرقة اخرى** اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة وهم فيها
لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع
ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير
خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق
الصلوة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام
وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا
فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك
يظن انه على خير من ربه فهو مغرور **وفرقة اخرى** اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم
بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد
يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه
يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن
انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع واعلم منه ثقل عليه **وفرقة اخرى** جاوروا بمكة والمدينة
واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث
ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه
الى اوساخ اموال الناس واذا جمع من ذلك شيئا شح به وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من
المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال
وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف
مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع
ما سبق في الكتب **وفرقة اخرى** زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد
وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك
الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان
الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك
مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من
خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه
خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء و
تقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في
اعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء
والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر
وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق
الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا
قيل له انك من اوتاد الارض واولياء الله واحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا
عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم

يغرهم الشيطان فيها كصلاة الضحى وصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له من ابر يا رسول الله قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبتدئ في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة والجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوارحه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث

المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة **ففرقة منهم** وهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب **وفرقة اخرى** زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضى بالدون فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركوا الحرير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الحرير والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعة اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة

مشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف احدهم هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ
لانه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف
العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات
المزيفة فيرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء
انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار والمنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى
الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى**
وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا
وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل انما كلفوا تاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما
بحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا
بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال
البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق
الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك
بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به
واحصاء اصنافهم يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حد هؤلاء واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي
المقامات من الزهد والتوكل والرضى والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله
تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل
وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب
وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد
كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما
يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات
في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها **وفرقة اخرى** ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح
في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق في ذلك ولم يدر المسكين ان الله تعالى
لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تتبع جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه
الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا
بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون
ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم
لتكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم
ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق
منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة **وفرقة اخرى** اشتغلوا
بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة
فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه
عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب
[illegible] مستغرق بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه
[illegible] من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم

بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف السالك مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى** جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى بهذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اكبر من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما ارى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رباعية

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح   وكانما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى له من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق **ففرقة منهم** يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم وافضل واولى من الصرف الى بناء المساجد

وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة
قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه
وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره
وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك
كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله
فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد
بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك
الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء
الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اذا
زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل
عليه السلام فقال له ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه **وفرقة
اخرى** ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء بالمعروف
ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد
اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون
محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وقال ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث
وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء
مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت مرضاة الله تعالى وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة
انفس مديون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب مسلم
واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا
نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله تعالى واقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به
وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم
البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى
على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك
وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلوة
فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه
ومن صلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون
من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في
المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك
عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة
الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور اصحاب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى**
من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم
على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير
فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة
له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على
ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وسبحان الله ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الاطباء

فيسمع ما يجري او الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك
سماعك وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا او
ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه
احد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء
اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان
الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار استخرجه واذا
اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد
ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا اراد ان ياخذ الحيات والافاعي ويعبث بها اخذها واستخرج الدرياق من اجوافها
واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة
ذلك وهو مستقر على الارض كل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ
الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر آخرته فليس عليه
الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم
الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا
من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه لكنك اكثرت في ذكر
مداخل الغرور فبماذا ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة
الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن
الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة
فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي
عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل
يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا نعلم منزلته عند الله
يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان
الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن
رجل شدة عبادته سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة
واعني بالمعرفة ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم
واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف
ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال
الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا
والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من
قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه
صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع
الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته
بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع
ذلك قد اودعناه في كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه

ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف
من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لابد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا
اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة
التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة
الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه واخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع الكدورات واستوى
على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره
ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين
ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى
في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة
المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به
داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا
من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد
نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد
قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوجز زمان فاخذته الرحمة والرأفة ولم
يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلب شاهد الخلق
وقد مرضت قلوبهم واعضلت داؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال
بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا
اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في
الزي والهيئة فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير
طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على
الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد
ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار
الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان يخيل اليه ان
ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة
المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك
او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم
والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هي جزع من النفس
خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب
الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى
الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق
عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض
الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه وكفاه ذلك لم يثقل عليه ارأيت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم اكان ينبغي ان
يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بالغير فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش
الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس
فاقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم

فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى
السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع
طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع
الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التى لا يلتفت الى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم
نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذى يضئ غيره ويحترق فى نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا من تزين
هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولولا حب
الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب ولا بد ان جميعا الا انه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان
ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر ولم
يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول
منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ
لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنى والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك
وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان تنسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ وواراءهم
باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح ولكن
شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقى عليه اعظمه وهو ان
الشيطان يقول له قد اعجزتنى وافلت منى بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك
وما اعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قواك على قهرى ومكنك من التفطن لجميع مداخل غرورى فيصغى اليه ويصدقه ويعجب بنفسه فى
فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا
ظننت انك بعلمك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى
على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه
بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على
هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن
مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد شذ عنه صفة من صفات قلبه من
حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر
الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء فى وقت النزع وكان قد
بقى له نفس فقال افلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون
كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر
قلوب اولياء الله ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه فى اول ربع المنجيات
كتاب التوبة والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله عليه وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

تمت

تم الجزء الثالث من كتب احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۲	۱	تن هش	تدهش
۳	۱۰	منبعة	منبعه
〃	۱۱	الجس	الحس
〃	۱۴	اطباق الذن	اطباق الدين
〃	۲۴	باانيها	يا ايتها
〃	۳۵	قد يكني	قد يكبني
۴	۵	الاوهو	الاهو
〃	۷	الفيحت	الفنحت
〃	۱۶	وظاهر	وظاهر
〃	۱۸	تمقتضى	مقتضي
〃	۲۱	الشلر	الشكر
۵	۱	بهذا لجند	بهن الجند
〃	۴	اللطيفه	اللطيفة
〃	۷	قد برانه	تدبيراته
〃	۸	مستتشيرا	مستشيرا
〃	۱۲	بمخالفة	بمخالفة
〃	۱۴	هو	هواه
〃	۱۵	مجاهرة	مجاهدة
〃	۱۸	قبره	قبره
〃	۲۲	دستی	وهتی
〃	۳۱	يرها	يريدها
۶	۵	المباوات	المباداة
〃	۲۷	كتمر	كتمر
۷	۶	ارقاها	ارقها
〃	〃	اصلبها	اصلبها
〃	۳۰	بقتضيه	بقتضيه
〃	۳۳	اذا العقل	اذا العقل
〃	۳۴	وريغا	وربنا
〃	۳۵	الخبث	المخبث
۸	۵	خنزيو	خنزير
〃	۱۲	بل وان	بل ان
〃	۱۳	وقال	وقال
〃	〃	مالتقوى	بالتقوى

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	۱۶	الذبن	الذين
〃	۱۸	وطائفه منكوس	وطاعة منكوس
۹	۲۹	المعرقة	المعرفة
۱۰	۱۳	رثب	رتب
〃	۳۲	وفوة	وقوة
۱۱	۲۳	الدنيا	الدنيا
۱۲	۱۵	بانقطاع	بانقطاع
〃	۲۷	دازاه سواس	دفاه سواس
۱۳	۲۰	ان يخفر	ان يخفر
〃	۲۰	مجايالہ	مجاباله
〃	۲۳	مجاکی	يحاکی
〃	۲۹	ستقضي	ستقصي
〃	۳۰	يعلمك	يعلمك
۱۴	۲۶	اكتناب	اكتساب
〃	۲۷	عادفا	عارفا
〃	۳۱	ويقطنه	يفطنه
〃	〃	تجربته	بتجربة
۱۵	۲۷	قصبه	قصبته
〃	۳۱	الها	الها
۱۶	۴	نصور	بصور
〃	۹	المسائل	المسائلة
〃	۲۴	بن عوالى	بن عوالى
۱۸	۱۰	فلاوين	خداوند
〃	۳۲	اذغانا	اذعانا
〃	۲۹	الجارية	الجارية
〃	۳۰	بجادب	بجاذب
〃	۳۵	قد يبني	تذيبني
۱۹	۵	العوامض	عوامض
۲۰	۸	اذا تكلم	اذا تكلم
〃	۱۰	سقوقها	سقوفها
〃	۱۳/۱۶	بالكفر النائل	بالكفر الشامل
〃	۳۵	للماثوين	للمكاثرين
۲۱	۱	سدوح	سلوح

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	۱۷	البعطاء	الخطام
۲۳	۱۱	شرطه الذكر	شرح طالذكرى
〃	۲۰	الخدود	المخدود
۲۳	۱۹	القلوب	القلوب
〃	۲۹	نوحطر	لوخطر
۲۵	۱۸	تجرده	بمجرد
〃	۱۹	نوق المراد	فوق المراد
۲۸	۷	لم يصنع	لم يصنع
〃	۱۸	الابراد	الابراد
〃	۲۲	ثم كتاب	ثم كتاب
۲۹	۲۸	غليه	عليه
۳۰	۱۴	بداريه	يداريه
〃	۱۷	كثرة	كثرة
〃	۲۸	بقال	يقال
۳۱	۲۹	فصد	فيصد
۳۲	۲	لبتمم	ليتمم
〃	۹	لاانتصوا	لاانفصوا
〃	۱۸	واختباره	واختياره
۳۳	۲۴	دیجیی	ویحیی
〃	۲۵	فی الطمع	فی الطبع
۳۴	۲۶	تكلفا	تكلفا
〃	۳۴	الطاغة	الطاعة
۳۵	۳	بدعو	يدعو
〃	۱۴	تعزى	تعرى
〃	۳۴	ملاذمنه	ملازمته
۳۶	۲۷	المجسد	الجسد
〃	۳۱	يلتفت	يلتفت
〃	۳۲	وابكر	وانكر
〃	۳۳	فهران	فهران
۳۷	۱۸	القاى	القذى
۳۸	۷	النطيب	الطيب
〃	۱۴	يبغضه	يبغضه
۳۹	۹	لم ينق	لم يبق

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	۲۰	ان يوفر	ان يلزمه
〃	۲۱	لم تتخفظ	لم تتحفظ
〃	۲۸	قاسبة	قاسية
〃	۳۲	صوتة	صوته
۴۰	۱۳	الحلق	الخلق
۴۱	۹	وصاد	رماد
〃	۲	طلاوفة الوصم	طلاوقة الوجه
۴۲	۱۹	هبئة	هيئة
〃	〃	بنبغی	ينبغی
۴۳	۱۰	ان نك	سائك
۴۴	۲	الصلاو	الصلاو
〃	۲۶	نذ فع	ندفع
〃	۳۳	علاثقه	علاوه نقم
۴۵	۱۹	ولاولاد	ولاوراد
〃	۲۸	عن قبره	عن غيره
۴۶	۳۱	ومحن	ونحن
۴۷	۵	انظر دالى	انظر دالى
〃	۸	يقمن	يقمن
〃	۱۰	اوش	افترش
〃	۲۸	الكسرة	الكسر
۴۹	۵	فانتها	فاتها
۵۰	۲۳	ادواح	اروح
〃	۳۵	صيقوا	ضيقوا
۵۱	۲۱	م لی	الی
〃	۳۲	لاشحاص	لاشخاص
۵۲	۱۵	ادناها	ادناها
〃	۲۹	البوت	الموت
۵۳	۱۵	نهار	نهاره
۵۴	۴	هذا لجراء	هذا لجزاء
〃	۱۵	ان نظرى	ان نطوی
〃	۲۸	ولوم ومن	دائم ومن
۵۵	۱۰	يكون	يكون
۵۶	۳۰	فنهايه	فنهاية

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۵۷	۱۸	بادملناه	باوليناه
〃	۲۴	بتنادل	يتناول
۵۸		—	—
〃	۵	فلاونفا	فلاوتقا
〃	۳۱	نتدوم	نعلام
〃	۳۳	ينظرون	ينظرون
۶۱	۱	ووای	وی
〃	۲	وردها	واردها
〃	۳۳	وعلامه	وهلله
〃	〃	قان	فان
۶۲	۱	يعبر عنه	يعبر عنه
〃	۶	قد تساك	قد تسامل
〃	۳۱	تكلتك	ثكلتك
〃	۳۳	دالیوم	والیوم
۶۳	۳	فابنه	فانه
〃	۷	سحن	سجن
۶۴	۲	علمه	علیه
〃	۳	اماتسمعنا	اماتتهنا
〃	۵	رسول	رسول الله
〃	۶	لعيني	لاتعيني
۶۵	۱	بعطم	يعظم
〃	〃	اللهم اخوة	اللهم اخره
۶۶	۲	هذا حم	هذا هم
〃	۹	باطهار	باظهار
〃	۱۰	بالله	بالملاء
〃	〃	وص	ومن
〃	۱۸	تنقيض	تنقيص
〃	۲۴	ويقال	ما يقال
〃	۳۰	يمكسه	يمكنه
〃	۲۴	ه	ما
〃	۲۸	بدهبه	فرهبه
〃	۱۰	اعتساد	اعتقاد
۶۷	۱	حط	قط

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
″	۳	علمات	علامات
″	″	اجہب	اذہب
″	۶	یطلہ	یطلب
″	۸	لاادبالی	لاابالی
″	۹	بنصر	ینصر
″	۱۱	المحقق	المحقق
″	۱۴	فال البعض	قال البعض
″	۳۲	حاجہ	حاجتہ
″	۳۳	الحانی وکالہ	الحانی وکالہ
″	۳۵	تحنین	تحسین
۶۸	۱۵	حقیقۃ حدۃ	حقیقتہ حدہ
″	۳۳	احرا	احر
۷۰	۲۶	قلسہ	قلبہ
″	۳۳	علی قلوب	علی قلوب
″	۳	نقل المزاج	نقل المزاج
″	۱۶	دسول	رسول
۷۲	۲	منہ	صنہ
″	۳۲	عسی	قال عسی
″	۳۳	من اذا	من اذا
۷۳	۱	فقدان روی	فقد یروی
″	۱۶	فیکذبون	فیکذبون
۷۴	۳۱	لخالدین	لخالدین
″	۳	کاذنۃ	کاذبا
″	۳۳	یخص	یخص
″	۳۴	[illegible]	[illegible]
۷۵	۳	وہم	[illegible]
۷۶	۵	بجلاوۃ	بحلاوۃ
″	۶	مطالبۃ	مطابیۃ
″	۳	شہیرۃ	شہیرۃ
″	۵	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
″	۱۰	فنویہ	فتویہ
″	۳۸	السیحان	المرجان

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۸۰	۱۳	تعلم المحل	تعلم الجبل
″	۳۲	ونبصر	وتبصیر
۸۱	۲	عقلی امارۃ	عقلی امارہ
″	۲۳	کتبت الیہ	کتبت الیہ
۸۲	۲	بالفسق	بالفسق
″	۵	الحائز الانام	الجائز الانام
″	۸	یبجلہ	یبجلہ
″	۲۹	فلم یغنیا	فلم یغنیا
۸۳	۴	احرجہ	اخرجہ
″	۷	الحسین واحد	الحسین احد
″	۱۲	فنشاء فیصوا	فنشاء بحمیمہ
″	۳۲	یحفظا الحرمۃ	یحفظ الحرمۃ
۸۴	۱۳	یخلواعنہ	یخلوعنہ
″	۱۳	البیت	البنت
۸۵	۵	کقولہ تعالیٰ	کقولہ تعالیٰ
″	۸	غیرجائز	خیرجائز
۸۶	۳	بعد العود	بعد العود
″	۵	فیقول	فیقول
۸۸	۱۱	یجبہ	یجیبہ
″	۱۸	ینبط	ینبسط
″	۲۰	انبساط	انبساط
۸۹	۱	نیظرلہا	ینظرلہا
″	۳	الغیر اصل	التخلیط اصل
۹۰	۳۳	بالقصد	بالقصد
″	۲۵	من یاخذ	من یاخذ
۹۱	۱۵	المتشی	المتشی
۹۲	۱۱	المتوا	المتوفا
″	۱۵	خزۃ	خزۃ
″	۱۴	الذیل	الذیل
″	۲۹	یخیطہ	یخیطہ
″	۱۵	[illegible]	[illegible]
۹۸	۲۴	[illegible]	[illegible]
″	۲۳	تنظیم	تنظیم

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
″	۲۵	اواجع	اراجیع
″	۲۶	تعجب	تعجبا
۹۹	۲۱	المناسخ	المناصحۃ
″	″	النقاسۃ	النفاسۃ
″	۲۵	یعلمہ	بعلمہ
″	″	لم یوتہ	لم یوتہ
۱۰۱	۲۲	المحسن	المحسن
۱۰۳	۳۱	ناہیلک	ناہیک
		حسبک	حسبک
۱۰۳	۵	شکایتی	شکایتی
۱۰۴	۲	فیریدین	فیزیدین
″	۲۲	فھو یقمع	فھو یقمع
۱۰۵	۱۳	والظاہر	والظاہر
″	۲۱	فرادۃ	فرادۃ
۱۱۰	۱۱	فادا	فاذا
″	۲۵	الیک	الیک
″	۲۶	تحیبن	تجیبن
۱۱۱	۳۱	الشفعۃ	الشفیق
۱۱۲	۱۲	الذبن	الذین
۱۱۳	۱	بخیالاتہ	بخیالاتہا
″	۳۱	ولم یسال	ولم یبال
۱۱۴	۳	نضارۃ	نضارۃ
″	۶	افنی	افذی
″	۹	اللبن	اللبن
″	۱۴	الحاجۃ	الحاجۃ
″	۳۰	ثم تنبہ	ثم تنبہ
۱۱۵	۶	والله	فوالله
″	۱۳	ان یلین	ان یلین
″	۳۶	[illegible]	[illegible]
۱۱۶	۲۵	[illegible]	[illegible]
۱۱۸	۱۴	[illegible]	[illegible]
″	۳۶	المحن	المحن
۱۱۸	۵	[illegible]	الزاویۃ

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۱۱۹	۱	مصطاۃ	مضطر
″	۹	وغبرہما	وغیرہما
″	۲۷	الصناعۃ	تصناعۃ
۱۲۰	۶	لاانتم	لاانتم
″	۲۳	یثوب	بثوب
۱۲۱	۱	لاسیما	لاسیما
″	۲۵	تضعت من	تصعبت من
۱۲۳	۲۳	الدنیاد	الدنیا
۱۲۵	۲۲	سرافتہم	سرقتہم
۱۲۷	۲۳	بواعد الله	یوعد الله
″	۳۵	تخولف	تخویف
۱۲۸	۳۱	ان الله	ان الله
۱۲۹	۳۱	نجال	بمال
″	۳۳	فاخبر	بالخیر
۱۳۰	۲	قد اعینی	قد اعیی
″	۳۵ ۳۶	لاینبغی الفاتہم	لاینبغی انقاتہم
۱۳۱	۱۸	لینبہا	لنبہا
″	۳۶	لصف	لصفہ
۱۳۳	۳۳	بعض	یعض
۱۳۴	۱۹	بغداد	بغداد
۱۳۵	۱۵	علی ابی طا	علی بن ابی طالب
″	″	بین نعی	بین یدی
۱۳۶	۲۳	صیانۃ	صیانۃ
۱۳۷	۱۳	یلتذ	یلتذ
″	۲۹	حتی اذا	حتی اذا
۱۳۸	۹	غیرہا	غیرہا
۱۳۹	۱۳	القباء	القباء
″	۱۹	انفسہم الا	انفسہم لا
″	″	[illegible]	[illegible]
۱۴۰	۱	نوید	تزید
″	۱۳	الصباء	الصبا
۱۴۱	۱۰	ان یقع	ان یقع
″	۲۱	لمنت	ظننت

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
″	۳۱	وابن	وابن
″	۲۹	اغطیۃ	اعطیۃ
″	″	اظہرنا	اظہرنا
″	″	الاپزال	الایزال
″	۳۲	فقال	فیقال
″	″	اوشیرۃ	اوشربۃ
۱۳۳	۳۱	باذا القرین	یاذا القرنین
۱۳۵	۹	المجانس	المجالس
″	۹	الخفیۃ التی	التی الخفیۃ
″	۱۳	بتضح	ینضح
″	۱۶	الریاء	الریاء
″	۲۴	ثلاثۃ	ثلاثۃ
۱۴۶	۲	ابوہریۃ	ابوہریرۃ
″	″	الذبن	الذین
″	۳۰	اوقسم	اوقسم
″	۶	من الریاء	من الریاء
″	۱۵	فضیلۃ	فضیلۃ
۱۴۷	۴	قلوبہم	قلوبہم
″	″	نکون	نکون
″	۶	بانفاتحۃ	بالفاتحۃ
″	۱۰	بقتضی	یقتضی
″	۲۵	ولبس	ولبیس
۱۴۸	۱۱	وضار	فصار
″	۵	یوجہ	یوجہ
″	۱۶	باطنۃ	باطنہ
″	۱۱	مسلذۃ	ملذذۃ
″	۳۰	المتفرد	المتفرد
۱۴۹	۱	علی ماجب	علی ما یجب
″	۲۶	لا	[illegible]
۱۵۰	۵	یطنون	یظنون
″	۱۳	صفقۃ	صفقۃ
″	۱۳	طریقہا	طریق الی
۱۵۱	۱۶	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح	صفحہ	سطر	غلط	صحیح	صفحہ	سطر	غلط	صحیح	صفحہ	سطر	غلط	صحیح	صفحہ	سطر	غلط	صحیح
״	۱۹	اوستاذ	استاذ	״	۱۳	طریق	طریق	۱۷۷	۱۲	صیحۃ	صحیحۃ	״	۱۳	النقاض	النقاض	״	۲۳	یتقین	یتقبل
۱۵۲	۱	قبہ	قلبہ	״	۳۲	المفت	المقت	״	۱۲	العبوب	العیون	۱۹۰	۳	واناعم	واناعم	״	۲۸	یتحرجون	یتحرجون
״	۹	لماومن	لماومن	۱۶۶	۱۰	العاقل	العاقل	״	۲۹	لاحیہ	المافیہ	״	۷	رابت	رایت	״	״	یناظرون	یناظرون
۱۵۳	۲۴	عظیم	عظیم	״	۳۵	مالکلیۃ	بالکلیۃ	״	۳۴	فیقول	فیقول	״	۲۷	الملوک	الملوک	״	۲۹	زید	ازید
۱۵۴	۲۳	فی عنیم	فی عنیم	״	۲۹	یحالک	بحالک	۱۷۸	۱۲	باابا	یاابا	۱۹۱	۲	فی غیر	فی غیر	״	۳۳	المسلین	المسلمین
״	۹	جابد	جاهد	״	۲۳	فعزب	فیعزب	״	۳۳	لیبال	لیبال	۱۹۳	۱	وبضمم	ولضمم	۲۰۹	۶	الی امر	الی امرین
۱۵۶	۲	علی والہ	علی آلہ	۱۶۹	۸	یعلمن	یعلمان	״	۳۵	ن کان	ان کان	۱۹۳	۴	من غیب	من غیب	״	۱۰	ونعقو	ونعقوا
״	۷	فضرها	فصرها	״	۲۳	فی امینۃ	فی امیۃ	۱۷۹	۳	بکون	یکون	״	۱۳	وبستقر	ویستقر	۲۱۳	۸	الی کثرہ	الی کثرۃ
״	۲۸	وصبتا	وصیتا	״	۲۷	بناقص	یناقض	״	۹	فیجعل	فیجعل	״	۱۴	بعرض	یعرض		۱	دبن اللہ	دین اللہ
۱۵۷	۳	لبس	لیس	۱۶۹	۱۰	الماء القذن	الماء القذر	״	۱۶	تسویت	سویت	״	۱۹	المغبد	البعید	۲۱۵	۱	لانخفی	لایخفی
״	۴	کدم اللہ	کرم اللہ	۱۷۰	۱۵	بؤید	یؤید	״	۲۱	وذام	ودام	״	۲۵	هوللنسب	هو النسب	۲۱۶	۲۹	علی ملاۃ	علی ملاء
״	۱۴	لقلوب	القلوب	״	۱۸	بطلع	یطلع	۱۸۰	۵	فاعزف	فاعرف	״	۳۸	ان بنکر	ان ینکر	۲۱۷	۱۳	حاصۃ	حاجۃ
״	۱۳	صفاۃ	صفاء	۱۷۱	۹	بجب	یجب	۱۸۰	۳۳	علیۃ	علیہ	״	۳۵	المحیض	الحیض	״	۳۵	افتصر	اقتصر
״	۳۵	نقشقۃ	تقشقۃ	״	۹	المجاء	المحیاء	۱۸۱	۳	بساوی	یساوی	۱۹۵	۳۱	ولتنزہ	ولتنزہ	۲۱۸	۵	الاقطار	الافطار
۱۵۸	۳	بقول	یقول	״	۱۰	بتصور	یتصور	״	۶	والدین	والدین	۱۹۶	۳	مع الجہل	مع الجہل	۲۱۹	۲۷	یسعفوا	یسعفها
״	۸	الرفیق	الرفیق	۱۷۲	۵	الی عقد	الی عقد	״	۹	بعارض	یعارض	״	۲۶	سبابۃ	سبابۃ	״	۳۲	ولبسوا	ولبسوا
״	۲۳	تخلص	تخلص	״	۹	ان یکون	ان یکون	״	۱۴	العفو	العفو	۱۹۷	۱۴	لابنقل	لاینقل	״	۳۳	اذکانت	اذ کانت
۱۶۰	۵	اذا	اذ	״	۱۹	والزم	والزم	״	۳۶	مثبتۃ	مثبتۃ	״	۲۵	علیہ	علیہ	۲۲۰	۲۳	ضقیت	ضقیت
۱۶۱	۸	باصول	باصول	״	۲۸	القراءۃ	القراءۃ	۱۸۳	۱۶	الجنید	الجنید	۱۹۸	۳	ان بتواضع	ان یتواضع	״	۳۵	النفس	[illegible]
״	۱۳	[illegible]	[illegible]	۱۶۲	۱	ستلتون	ستلتون	״	۳	لیکون	لیکون	״	۳۵	واجمع	واجمع	۲۲۲	۱	السئلۃ	[illegible]
״	۱۶	بواہی	بواہی	״	۳	[illegible]	[illegible]	״	۳۴	علمیہ	علیہ	۲۰۱	۱۳	[illegible]	[illegible]	״	۱۶	فضلہ	فضلہ
״	۱۷	الدین	الدین	۱۶۴	۱	[illegible]	[illegible]	۱۸۴	۱۹	عشیا	عشیا		۳۷	[illegible]	[illegible]	״	۱۶	بالرجاج	بالزجاج
״	۲۹	دونہم	دونہم	״	۷	وتعطلت	تعطلت	״	۲۶	والطغیان	والطغیان	۲۰۳	۱۳	المزن	[illegible]	۲۲۳	۱۶	یقتضی	یقتضی
۱۶۳	۳	یوی	یری	״	۹	ورابط	ولغط	״	۲۵	فیہ	فیہ	״	[illegible]	[illegible]	[illegible]	۲۲۴	۹	یعرف	یعرفہا
״	۸	لایفلون	لایفلون	״	۲۱	لیس فیہ	لیس فیہ	״	۲۸	[illegible]	[illegible]	۲۰۳	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
״	۱۳	فیہ	فیہ	״	۲۳	لایقصد	لایقصد	۱۸۶	۷	[illegible]	[illegible]	[illegible]	۱۳	[illegible]	[illegible]	۲۲۶	۳۵	[illegible]	[illegible]
״	۱۶	[illegible]	[illegible]	۱۶۵	۹	یدفع	یدفع	״	۲۳	[illegible]	[illegible]	۲۰۵	۴	[illegible]	[illegible]	۲۲۷	۱۰	[illegible]	[illegible]
۱۶۳	۱۷	[illegible]	[illegible]	״	۲۱	فضلہ	فضلہ	۱۸۶	۱	[illegible]	[illegible]	״	۹	[illegible]	[illegible]	״	۳	[illegible]	[illegible]
״	۳۳	[illegible]	[illegible]	״	۲۵	[illegible]	[illegible]	״	۱۱	[illegible]	[illegible]	״	۳۲	[illegible]	[illegible]	״	۱۰	[illegible]	[illegible]
۱۶۵	۱	[illegible]	[illegible]	۱۶۶	۱۵	[illegible]	[illegible]	״	۲۹	[illegible]	[illegible]	[illegible]	۸	[illegible]	[illegible]	״	۱۸	[illegible]	[illegible]
״	۳	[illegible]	[illegible]	״	۲۵	[illegible]	[illegible]	۱۸۰	۵	[illegible]	[illegible]	״	۳۴	[illegible]	[illegible]				
״	۹	[illegible]	[illegible]	״	[illegible]	[illegible]	[illegible]	״	۲	[illegible]	[illegible]	۲۰۶	۱۸	[illegible]	[illegible]				
״	۱۱	[illegible]	[illegible]	״	[illegible]	[illegible]	[illegible]	״	۱۳	[illegible]	[illegible]	۲۰۸	۱۹	بزجرۃ	بزجرۃ				

اغلاط وصحت نامہ متعلقہ حواشی احیاء العلوم

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۳	۱	س	دھش
۵	۱	حلب	جلب
"	۹	النحۃ	النخۃ
"	۱۳	انباع	اتباع
"	۱۵	الرباہ	الرباط
"	۱۶	الخیس	الخبل
۲۲	۱۹	اغبراء	اغبراد
۲۴	۱	حرار	حراء
۴۹	۱۴	الناء	النار
۵۴	۴	الدبسن	الدبس
۶۱	۱	السمعت	السمت
۷۵	۲۴	بکنایۃ	بکنایہ
۸۷	۴،۳	اشتمل	اقتناء المال
"	"		وغیرہ وفی الممثل
۹۹	۱۱	خطیت	خطبت
۱۳۶	۹	بجی بیجو	بجی بیجو
۱۸۳	۱۲	الکسر	الکسر مع
۱۸۸	۱۰	النقصانھم	نقصانھم
"	۲۲	جانواران	جانوران
۱۹۴	۱۱	کھش	لھث
۲۲۳	۱۹	جادءوا	جاءوا
۲۳۳	۲۰	متفرقا	متفرقین